الصابئون

في حاضرهم وماضيهم

تبحث هذه الرسالة في الصابئة قديماً وحديثاً وتتكلم على معتقداتهم الروحية وفرقهم الدينية وكتبهم المقدسة وعلى «يحيى بن زكريا» الذي ينتسبون اليه، وتضم بين دفتيها أدق المعلومات واصدقها عن طقوسهم الدينية وعاداتهم الاجتماعية واعيادهم القومية وعدد نفوسهم ومساكنهم وصناعتهم والمحرمات عندهم

بقلم

السيد عبد الرزاق الحسني

١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م

مطبعة العرفان - صيدا

ثبت بأهم المصادر

أولا – الكتب المقدسة

١ – التوراة ٢ – الانجيل ٣ – القرآن ٤ – الكنزاربّا (وهو كتاب الصابئة الكبير)

ثانياً – المصادر العربية

٥ – ابن خلدون	المقدمة	(القاهرة ١٣٢٩)
٦ – ابن العبري	تاريخ مختصر الدول	(بيروت ١٨٩٠)
٧ – ابن النديم	الفهرست	(لايبسك ١٨٧١)
٨ – ابن القفطي	تاريخ الحكماء	(لايبسك ١٣٢٠)
٩ – ابن منظور	لسان العرب	(القاهرة ١٣٠٠)
١٠ – أبو الفداء	تقويم البلدان	(باريس ١٨٤٠)
١١ – أبو الفداء	المختصر في أخبار البشر	(القاهرة ١٣٢٥)
١٢ – الآمديّ	كتاب ابكار الأفكار	(كتاب مخطوط)
١٣ – الحسني (عبد الرزاق)	الصابئة قديماً وحديثاً	(القاهرة ١٩٣١)
١٤ – الحمويّ	معجم البلدان	(القاهرة ١٩٠٦)
١٥ – الدمشقي	نخبة الدهر في عجائب البر والبحر	(بطرسبورغ ١٨٦٥)
١٦ – الرازي (فخر الدين)	إعتقاد فرق المسلمين والمشركين	(القاهرة ١٣٥٦)
١٧ – الزبيدي	تاج العروس	(القاهرة ١٣٠٦)
١٨ – زويمر	المقتطف	(القاهرة ١٨٩٩)
١٩ – السامرائي (كامل)	المجموعة الدائمة – المجلد الخامس	(بغداد ١٩٥٤)
٢٠ – الطبرسي	مجمع البيان	(صيدا ١٣٢٣)
٢١ – عبادة (عبد الحميد)	مندائي أو الصابئة الأقدمون	(بغداد ١٩٢٧)
٢٢ – عواد(كوركيس وبشير)	العراق في القرن السابع عشر	(بغداد ١٩٤٤)
٢٣ – الفيّومي	مصباح المنير	(القاهرة ١٩١٢)
٢٤ – الكرملي (انستاس)	المشرق	(بيروت ١٩٠١)
٢٥ المسعودي	مروج الذهب	(باريس ١٨٦٣)
٢٦ – النجار (عبد الوهاب)	قصص الأنبياء	(القاهرة ١٣٥٥)
٢٧ – وجدي(فريد)	دائرة معارف القرن العشرين	(القاهرة ١٣٤١)
٢٨ – اليازجي	مجلة البيان	(القاهرة ١٨٩٧)

ثالثاً – المصادر – الأجنبية

29 - E. S. Drower; The Mandaeans of iraq and Iran - London 1937

30 - H. Pog non ; Inscriptions Mandaïtes des coupes de Khoubeir Paris 1898

31 - J.B. Tavernier, les six Voyages - Paris 1713

32 - M.N. Siouffi , Études sur la Religion des Soubbas - Paris 1880

المقدمة

بقلم حضرة صاحب السعادة البحاثة الكبير والاستاذ الجليل

شيخ العروبة احمد زكى باشا

البراعة في نظري نوعان : براعة الابتكار ، وبراعة الاتقان .

١ً -- فبراعة الابتكار أن يتناول الانسان غرضاً من أغراض العمران ، أو عرضاً من أعراض الحيـاة ، فيتولاه بالتفكير الطويل ويعالجه بتكرار النظر العميق ، حتى إذا توافرت لديه الوسائل وتهيأت أمامه الأسباب ، أبرز للناس خلاصة بحثه الناضج ، فإذا هي حلية للابصار ، وجوهرة للعقول ، ومتعة للناس .

هذه البراعة مقصورة على أفراد معدودين يبعثهم الله من حين الى حين ، وفي جيل دون جيل ، وهم قليل بل أقل من القليل ، ولكن ثمرات أعمالهم تنتقل بالانسانية كلها من حال إلى أسمى منها ، وترتقي بالحضارة إلى ما هو أرفع وأرفه . وهذه نعمة من نعم الله فيها الخير العام وفيها البركة الشاملة .

٢ً -- أما براعة الإتقان فإنها مختلفة المظاهر ، متعددة الاشكال . وسأقف في هذه الكلمة أمام ناحية واحدة من نواحيها الجمة .

تلك هي ناحية التحقيق العلمي الصحيح

فالبراعة كل البراعة أن يعالج الكاتب موضوعاً مطروقاً أو بحثاً معهوداً ، أو أن يلتمس أثراً مشهوداً أو أمراً معروفاً . فيدرسه درساً صحيحاً ، ويبحثه بحثاً دقيقاً ثم يفيض عليه شيئاً من سحر البيان ، ويضيف اليه قبساً من نور العرفان ، مع تزيينه بطريف التمحيص ومبتكر التحقيق .

البراعة كل البراعة أن يجيد بعد ذلك تدبيج أطرافه وتوشية حواشيه بما ينفخه من

روح الحياة فيه ، مما نزل عليه من الإلهام بطريق الرحلة الى المصادر الاوّلية، أو توصل اليه عن طريق المكابدة في الاستقاء من المناهل الاصلية .

هذه هي البراعة التي أمتاز بها أعلام العروبة على عهد ازدهارها في مكة والمدينة في صنعاء وزبيد ، في البصرة والكوفة ، في بغداد والموصل ، في دمشق وحلب ، في القدس وطبرية ، في الفسطاط والقاهرة ، في برقة وطرابلس ، في المهدية وقيروان ، في وهران وتلمسان ، في فاس ومراكش ، في شنقيط وتنبكت[1] ثم في قرطبة وغرناطة وغيرهما من أمصار الفردوس الاسلامي المفقود ؛ وأخوه الذي هو على شفا جرف هار .

هذه هي البراعة التي امحى أثرها (إلا نزراً يسيراً تحت الأطلال) فقد درست تلك الاعلام .

هذه هي البراعة التي خبا نورها (إلا جمراً ضئيلا بين الرماد) فقد انطفأ ذلك المصباح .

ننشدها هنا وهنا فلا نجد لها غير ثمالة زهيدة عندنا ، مزهود فيها عند غيرنا ؛ أما نفحاتها الحقة ، وأما مظاهرها النافعة ، فقد ودعت بلادنا من زمان بعيد ، ثم طاب لها القرار في ديار الفرنج ، لأنهم أكرموا مثواها ولا يزالون يبالغون في الحفاوة بها .

حقاً أنهم أخذوا عن أجدادنا في الأندلس والمغرب ، ومصر والشام ، والعراق والجزيرة المقدسة ، وما الى وراء ذلك حتى مطلع الشمس . بيد أنهم واصلوا البحث والدرس حتى وصلوا إلى تسخير العناصر لخدمتهم ، وإلى ابتكار الصنائع واختراع

---

(١) عاصمة الصحراء في افريقيا . وهي التي مسخ الجهلة المتفرنجون اسمها متابعة للافرنج في قولهم Tambouctou فقالوا « تمبكتوا » والصواب ما قلت « تنبكت » (بضمة فسكون فضمتان بينهما سكون) فافهم واحفظ ، لأن الافرنج رسموا اللفظ حسب النطق به ولكن المتفرنجين مسخوه بالأخذ عنهم دون الرجوع إلى أهل العلم أو أهل الدار .

البدائع التي يصح وصفها بأنها مما « لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »

هم يتوافدون من كل فج عميق على أقطار العروبة من أقصاها إلى أقصاها فيبحثون عما جهلنا من آثار أجدادنا الأولين

هم ينقبون عن مفاخر أقوامنا في كل فن ومطلب ، فيعيدونها إلى الحياة ونحن نيام نيام ، ولا أقول غير ذلك .

على أننـا نحمد الله قد أخذنا عنهم ، ثم أنشأنا ننسج على منوالهم ، فدخلنا طور التجربة ، وسيتبعه طور الانتقال فنكون جديرين بالأجداد .

٣ – بدأت بشائر هذه النهضة في مصر فجاوبتها الشامات ، ثم جاء الدور لبغداد وهو آت بلا شك إلى الجزيرة المقدسة .

وطالما تغنيت بما حدث في مصر والشام ، وطالما تمنيت أن أترنم بغيرهما من بقاع العروبة وانني لسعيد بالتحدث في هذه الكلمة عن العراق .

٤ – ففي بغداد نهضة مباركة ، وفي كل أنحـاء العراق شعب طموح وثاب ، وها هي آثار العمران تعود قليلا قليلا إلى مهد العمران . وها هي شبيبة الفرات تستقي من (النيل) ومن (السين) و (التاميز) ثم تعود الى الرافدين لنشر العـلم ولإحياء الصناعة في (ما بين النهرين) .

والذي تناهى لي عن ثقات الأصدقاء الصادقين أن الحركة الاقتصادية والصناعية في ديار العباسيين ، بين الوطنيين ، وفي دائرة الوطنيين ، ولمصلحة الوطنيين ؛ هي أوسع نطاقا وأغزر مادة واكثر رواجاً ممـا هو حاصل في وادي النيل ، وهذا شيء محمود نقابله بالاغتباط مع الارتياح .

ولقد رأيت سادتهم وقادتهم في الشتاء الماضي بأرض مصر وهم « مثل طلبتهم هنا » متشحون بملابس كلها من نسيج بلادهم وهم بها فخورون .

أما الصحافة ، وهي عنوان النهضة ، ومرآة الامة ، ورسول الوطنية ، فإنني أرى فيها كل يوم بشارة جديدة تبعث الأمل وتقيمه على دعائم راسخة ·

وأما الجو العلمي ، فقد كان الى عهد قريب في خمول وخمود · ولكن السحائب السود بدأت تتبدد عنه ، فانبثق مجال ضئيل للنور · وعن قريب يتم له الإشراف على كل آفاق العراق ، فيعود لبغداد عصر بني العباس في ثوب عصري قشيب ·

٥ — من آثار تلك البراعة التي تحدثت عنها في العراقين ، من مظاهر هذا النور الذي ترمقته فوق الرافدين ، هذا الكتاب الصغير ، هذا الكتاب الذي توفر مؤلفه البارع على درس الصابئة ، أو القوم الألى يسمون أنفسهم بالصابئة في بطائح البصرة وفي سهول الموصل · وقد أجاد فيه واستوفى شروط البراعة التي أشرت اليها في صدر هذه الكلمة · وأنت إذا قرأته مثلي ، رأيت فيه دليل البراعة التي حدثتك عنها · وأنا أتنبأ لصاحبه بأن كتابه هذا سيتناوله المستشرقون بالترجمة الى الالمانية وإلى كثير من اللغات الاخرى ، وأنه سيكون مصدراً من مصادر أبحاثهم ، ومرجعاً يرجعون اليه ، ومنهلا يستقون منه وحسبه ذلك فخراً ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ·

احمد زكي باشا

عن دار العروبة

ربيع الثاني سنة ١٣٥٠ هـ
أغسطس سنة ١٩٣١ م

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنا اغفِرْ لَنا وَلإِخوانِنا الَّذينَ سَبَقونا بالإيمانِ وَلا تَجعَلْ في قُلوبِنا غِلاً لِلَّذينَ آمَنوا

— صدق الله مولانا العظيم —

اما بعد

«الصابئون» قوم من اصحاب الديانات القديمة غلب عليهم الحياء والكتمان فكان ذلك مدعاة لاختلاف العلماء والمؤرخين في حقيقة أمرهم . ففريق منهم ردهم الى ديانة بابل وآشور وهي من أقدم الديانات الوثنية لأن أساسها عبادة النجوم وفيها من الشعائر ما يتصل بديانة بابل القديمة ، وفريق آخر قال إنهم فرقة من المجوس والنصارى ولم يزد على ذلك. والحق أنهم ليسوا من المسيحية في شيء، لأن المسيحي من آمن بألوهية السيد المسيح ، والصابئي لايؤمن بذلك . أما «الزمخشري» فقد ذهب في تفسيره «الكشاف» الى انهم قوم عدلوا عن دين النصارى واليهود وعبدوا الملائكة وهكذا تباينت الآراء ، واختلفت الروايات ، دون أن يقام عليها دليل أو برهان .

وقد أتى على هذا السر عهود لم يهتك له فيها ستر ، ولم يستشف أحد ما وراءه ، والناس واقفون فيه عند حد التكهن والظن ، يتطلعون إلى مكنون أمرهم بلهفة شديدة ، ويحاولون استكشاف حقيقة ديانتهم برغبة ملحة ، فإن القوم يوشك ان ينقرضوا من سفر الوجود ولا يبقى لهم إلا الذكر التاريخي الخالد . وهم يكتمون ديانتهم كل الكتمان ، ويضنون بأسرارها حتى عن أهلها واتباعها ، ونرجو أن لا يتهمنا القارئ بالغلو إذا قلنا أن الصابئي لا يكاد يعرف من أسرار دينه شيئاً ، ولا يتقن لغة أجداده أو يحسن قراءتها و كتابتها ولا يمكن من السؤال عن العلة فيما يؤديه من طقوس وفروض ، لأن هذه الاسرار محفوظة في صدور المؤمنين ، وهم قلة قليلة لا ترى البوح بها لأحد خشية أن يفلت الأمر من يدها إن انكشف أمرها للخاص والعام .

ومما يزيد الأمر إشكالا والبحث تعقيداً ، أن الصابئين منزوون عن غيرهم من الطوائف كل الانزواء ، سواء أكان ذلك من ناحية شعائرهم الدينية التي يقيمونها ، أم من ناحية اللغة التي يتخاطبون بها ، وهم الى ذلك لا يرون دخول أحد من الناس في ملتهم ولا يتزوجون من غير قومهم ، ولا يساكنون أحداً من غير نحلتهم ، ولا يؤاكلونه مطلقاً .

وكنا طبعنا رسالتنا « الصابئة قديماً وحديثاً » في القاهرة سنة ١٩٣١ م ، واعقبناها بمقالة

مطولة نشرناها في « الهلال أيار ١٩٣٢ م » فتلقينا من ضجيج الصابئة وافكارهم ما جرنا الى مرافعات ومحاكات طال أمدها ولكنها انتهت بفشل المدعين ، لعدم وجود مأخذ على ما كتبنا ونشرنا ومنذ ذلك الحين ونحن نتابع دراسة هذا الموضوع ، ونتصل برؤساء الصابئة وببعض شيوخهم البارزين ، ونحضر حفلات أفراحهم وأتراحهم ، ونشاهد طقوسهم وآدابهم ، وندقق في كتبهم المقدسة وفيما كتب عنهم في بعض اللغات الاجنبية الحية حتى انتهى بنا الأمر إلى هذه الدراسة المستفيضة شاكرين للاستاذ كوركيس عواد ما أسداه لنا من عون ، وما مهده لنا من سبل لإنجازها وآملين أن يتحفنا القراء بما يعنّ لهم من ملاحظات وآراء في هذا الصدد فنعمل به في طبعة الرسالة القادمة ، فإن المرء صغير بنفسه ، كبير بإخوانه ، وكم ترك الأولون للآخرين من مجال ، ومن الله نستمد الهدي والرشاد.

بغداد — الكرادة الشرقية سلخ ربيع الثاني ١٣٧٤   السيد عبد الرزاق الحسني

جدول الخطأ والصواب

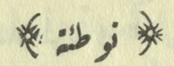
حرصنا كثيراً على ان نجعل هذا الكتاب خالياً من الأغلاط فتولينا تصحيح جل ملزماته بنفسنا وكانت ملزمته الثانية (ص ٢٥ — ٤٠) قد تركت للمطبعة فوقع فيها من هذه الأغلاط ما يوازي اغلاط الكتاب مجتمعة فنرجو تصحيحها قبل تلاوتها .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥	١٤	وفيهم	ومنهم
٢٦	٦	وقت واحد	وقت
٢٧	٢	الحيلولة	الحلولية
٢٧	٩	ذلك	مزاج ذلك
٢٧	١٠	بل	بل هي
٢٨	١٣	آمن منهم بالله	آمن بالله
٣٠	٢	طويل	طويلة
٣٠	٤	تضاف الكلمات	(قال فيهود انتم ؟ قالوا لا) إلى ما بعد أنصارى انتم ؟ قالوا لا
٣٢	٤	هم	وهم
٣٥	١٨	كان	كانت
٣٦	٣	مع تعقيباته	عن تعقيباته
٣٦	٧–٨	وقيل فيهم	وقال
٣٨	١٣	الذي	الأديان الذي
٣٨	٢١	*Khoubeir*	*Khouabir*
٤٠	١٧	ولآراء	والآراء
٤٥	١٧	امرأة نوح	نوح وامرأته وابنه سام
٤٦	٢١	وكل	هم وكل
٥١	٤	إلا هذا	إلى هذا
٥٤	١٩	كثيراً	كثيرين
٥٥	١١	أيها	ايتها
٥٦	٢١	لا يدور	لا يدورون
٦٢	٢١	*1877*	*1880*
٧٢	١٤	عن الشر	من الشر
٨٦	٧	تنقضي	لتنقضي
٨٦	٩	بعد غروب	عند غروب
٨٦	١٠	وولد السماء	وولد وسط السماء
٨٨	٢٠	الولد	الوليد
٩١	٤	وبتدقق	وبدقق
٩٥	١٩	وربائبكم	وامهات نسائكم وربائبكم
١٠٥	١٩	اقله	اقلها

فهرست الصور

مضامين الكتاب

الصابئة قديماً وحديثاً



نظرة واحدة إلى تطوّر الفكر البشري في مختلف عصوره ، تدل الباحث على الاتجاهات الفكرية الغريبة ، وعلى تعدد النظرات في فهم هذا الكون وتفهمه .

ومهما حاول الانسان أن يبتعد في تفكيره عن المعتقد ، وأن يجعل النظر خالصاً من شائبة الإيمان ، فإنه لا يستطيع أن يجد إلى ذلك سبيلا ؛ فالبحث في المعتقدات إنما هو بحث في طوابع التفكير ، ومناهج النظر البشري ، إلا أن فائدة هذا البحث لا تقتصر على دراسة تاريخ المعتقدات والمذاهب فحسب ، إنما تورينا كيف شرع الانسان الأول يفكر في نفسه وفي خالقه ؛ وفي الرابطة التي تربط بينه وبين هذه القوة المدبرة وتوقفنا من جهة ثانية على قيمة ما يظهر من النظريات في عصرنا الحاضر ، وما نراه مستحدثاً وطريفاً في آراء البشر وفي معتقداته .

ومن الضروري جداً أن يعود الإنسان إلى تاريخ التفكير والمعتقد ليطلع من ورائه على غرائز البشر العامة ، وعلى اتجاهاته كافة ، وعلَى تأثره بالظروف والأحوال فوجود الانسان في مختلف مظاهره مرتبط تمام الارتباط ومستند بعضه إلى بعض ، وقد ترجع هذه التفكيرات والمعتقدات — عند التحليل ؛ والتمحيص — إلى أصل واحد ، تشعبت منه وطوّرت الإنسان وتطورت معه ؛ ولكنها أصبحت بمرور الأزمان ، مختلفة تمام الاختلاف ، ومتباينة تباين سلائل الإنسان الحاضر .

وغاية ما يأتي به الباحث في مواضيع غامضة كهذه ، أن يدل المتتبع على اصلها الذي نشأت منه ، ويلوّح إلى العوامل والمؤثرات التي عملت على تفريعه .

و (الصابئة) من بين الأديان القديمة التي تستحق أن توضع موضع البحث الواسع

في اللغة العربية ؛ وتستخلص زبدة الفكر فيها من كتب التاريخ والأديان القديمة ، ويستعان على ذلك بما في كتب المؤلفين المعاصرين « الأجانب وغيرهم » من نظرات واجتهادات ، عسى أن تكون مجملا طريفا في « تاريخ الصابئة » يستعين به قراء العربية على فهم هذا المذهب الغامض . فقد قال قوم : انهم من « عباد الكواكب » وقال آخرون : هم فرقة بين النصارى والمجوس ، وقال الزمخشري : هم قوم عدلوا عن دين النصارى واليهود وعبدوا الملائكة . وقيل فيهم غير ذلك مما يطول بيانه ، وغالبه من باب الظن والحدس ، لأنهم يكتمون دينهم أشد الكتمان ؛ ولا يرون دخول الناس فيه ، وإنما هم على مذهب من قال جرى القلم وأغلق الباب .

وقد يضطرنا البحث في «دين الصابئة» إلى التعرض الى فكرة التوحيد ومنشئها والنظر فيها ؛ وفي الطريق التي توصل البشر بها الى الاعتقاد بقوة واحدة تدبر هذا الكون ، وتهيمن عليه . فنقول استطراداً :

كيف عرف الخالق

نظر البشر إلى هذا الكون فبهره ما يحيط به من مظاهر الطبيعة ، وعجائب الكون ورأى نفسه موجوداً صغيراً عاجزاً عن رد طوارئ الطبيعة ، ومجابهة أحداثها ، فأكبر العاصفة ، وارتعدت فرائصه للصاعقة ، ورأى في كل تلك المظاهر قوة مدركة ؛ وحياة خاصة قاسها بما له من وجود وإدراك وحياة ، ورآها مثالا للقوة التي تستحق الانقياد والخضوع ، فنشأت من هنا فكرة العبادة لمظاهر الكون ، وشرع البشر في تأليه كل ما يخاف منه ، وكل ما يجهل كنهه ؛ أو يرى فيه شيئاً غريباً حتى تطورت فكرة الدين بتطور البشر ، وأصبحت المظاهر الطبيعية تنضوي قواها وتستقر صفاتها في قوى محصورة ، ثم في قوة واحدة .

فبعد أن كان الريح العاصف ، والصاعقة المحرقة ، والشمس المبهرة ، والنار

المتأججة ، الى غير ذلك من مظاهر الطبيعة آلهة تعبد ، وأرباباً يطلب منها العون والمساعدة، أصبحت تلك القوى التي استترت فيها متمثلة في عدد محصور من الكواكب السيارة ، وفي قوة تمثلها تلك الكواكب ، وقد استمرت هذه الفكرة وتطورت حتى أصبح عدد الكواكب يتضاءل ، وأصبحت تلك الآلهة المتعددة يختفي بعضها ضمن بعض حتى لم يبقَ إلا إله واحد ، وأصبح الخلاف في صفاته ووجهات النظر اليه ، بعد أن كان نزاعاً وخلافاً في شركائه وأقرانه .

ولكن بالرغم من هذه التطورات التي تطورها البشر في عقيدته فإن جذور تلك الاعتقادات ما زالت باقية ، وما زال قسم من البشر ، يحتفظ بأصول العقائد الأولى ، وبصفات التفكير القديم ، كما يوجد الآن قسم من البشر يحتفظ بعادات البشر القديم بل بأشكاله .

فالصابئة وإن ادخلت على معتقداتها بعض التعاليم الحديثة ، ، فإن من أصحاب تلك المعتقدات التي كانت في الدور الأول للتفكير البشري . لأن تأليه الكواكب وعبادة النجوم ، والنظر اليها كمظاهر ذات اثر وذات إدراك ، من المعتقدات التي لم تنشأ إلا في العصور الغابرة ، إلا أن لبعض الأقوام صفة الاحتفاظ بالتقاليد والعادات أو بالآراء والمعتقدات ، وهذا ما نراه في أصول ديانة الصابئة وفي تعاليمهم وطقوسهم الدينية .

قال الامام فخر الدين الرازي المتوفى عام ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ م) الصابئة « قوم يقولون أن مدبر هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم ، فهم عبدة الكواكب . ولما بعث الله ابراهيم ع.م كان الناس على دين الصابئة فاستدل ابراهيم ع.م عليهم في حدوث الكواكب كما حكى الله تعالى عنه في قوله – لا أحب الآفلين – واعلم أن عبادة الأصنام أحدث من هذا الدين لأنهم كانوا يعبدون

النجوم عند ظهورها ، ولما أرادوا أن يعبدوها عند غروبها لم يكن لهم بد من أن يتصوروا الكواكب صوراً ومثلاً فصنعوا أصناماً واشتغلوا بعبادتها فظهر من هاهنا عبادة الأوثان[١]

وقال الشيخ شمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الربوة المتوفى سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٦ م) .

« وقيل إن الصابئة قسمان : أحدهما القائلون بالهياكل وهم عبدة الكواكب ، والآخرون القائلون بالأشخاص ، وهم عبدة الأصنام ، فأما القائلون بالهياكل فإنهم يزعمون أنهم أخذوا ذلك عن عاديمون ، وهو شيث النبي (ع) ، وعاديمون أخذه عن أخنوخ ، وهو هرمس الهرامسة ، هذا زعمهم الباطل . وأما الآخرون فيزعمون أن الأصنام صور روحانيات الكواكب ، وفي الصابئة من اعتقد وجوب (عبادة) الكواكب لدورانها وهم القائلون بالأكوار والأدوار . وهؤلاء زعموا أن المعبود واحد وكثير . أما الواحد والوحدانية ففي الذات والأزل ، وأما الكثرة فلأنه يكثر بالأشخاص في رأي العين » اهـ[٢]

وقال العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي المتوفى سنة ٨٠٨هـ (١٤٠٥م)

« إن الصابئة هم القائلون بالهياكل والأرباب السماوية والأصنام الأرضية وإنكار النبوات ، وهم أصناف ، وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة ، وتولدت من مذاهبهم الحكمة الملطية ، ومنهم أصحاب الروحانيات ، وهم عباد الكواكب وأصنامهم التي عملت على تمثالها . أما الحنفاء فهم القائلون بأن الروحانيات منها ما وجودها بالقوة ، ومنها ما وجودها بالفعل ، فما هو بالقوة يحتاج إلى مايوجده بالفعل . ويفرون

(١) كتاب « اعتقادات المسلمين والمشركين » القاهرة ١٣٥٦ (ص٩٠)

(٢) « كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر » (بطرسبرغ ١٨٦٥م) ص ٤٤

بنبوة إبراهيم ، وأنه منهم ، وهم طوائف منها : الكاظمة أصحاب كاظم بن تارح ، ومن قوله إن الحق بين شريعة إدريس وشريعة نوح وشريعة إبراهيم . ومنها البيدانية أصحاب بيدان الاصغر ، ومن قوله اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح ، وأن النبوة من أسرار الإلهية . ومنها القنطارية أصحاب قنطار « الاصح قينانية أصحاب قينان » ابن أرفكشاد ويقر بنبوة نوح . ومنها أصحاب الهياكل، ويرون الشمس إله كل إله . والحرانية ، ومن قولهم المعبود واحد بالذات و كثير بالاشخاص في رأي العيان ، وهي المدبرات السبع من الكواكب والاشخاص الارضية الخيرة العالمة الفاضلة » اه

وهناك اراء ونقول اخرى لا نرى ضرورة لإثباتها هنا فلننتقل الى كيفية تفرع الديانة الصابئية الى أدوارها الاربعة .

✻ ادوار الديانة الصابئية ✻

لئن دلت « الديانة المحمدية السمحة » عَلى شيع إسلامية كثيرة ، ولئن شملت الديانتان : المسيحية والموسوية فرقاً نصرانية ويهودية مختلفة ، فإن مما لا شك فيه ان الديانه الصابئية تغيرت على مرور الزمن حتى تفرعت منها فروع منوعة كانت تنتقل من دور الى دور كما هو آت :

١ — الصابئة في الدور الأول

لا شك في أن الديانة التي سادت العالم في الأعصر الاولى كانت هي « الديانة الطبيعية » أي عبادة مظاهر الطبيعة [1] و كان للأجرام السماوية بين تلك المظاهر المقام

(١) اختلف علماء تاريخ الأديان في قدمها فرأى بعضهم ان الديانات الطبيعية أقدم من الديانات الروحية ، ورأى البعض الآخر عكس ذلك ، أي أن الديانات الروحية أقدم من الديانات الطبيعية ، وكان كل من الطرفين يدعم رأيه ببعض الامارات . أما علماء الدين فلاشك عندهم في ان الديانات الروحية اسبق من الديانات الطبيعية لأن آدم ، أصل البشر ، كان على دين التوحيد

الأول، والقدح المعلى . فكان البشر الاول – رغم دخوله في دور الحضارة ، وتأسيسه أصول المدنية – لا يزال في ديانته يمثل عصر ماقبل التاريخ ، فلم تخل حضارة البابليين والمصريين القدماء ؛ والفرس ، حتى اليونان – على تأخر زمانهم – من تأليه مظاهر الطبيعة ، وتقديس الأجرام العلوية .

وإذا اعتبرنا أن ديانة الصابئة هي عبادة الكواكب والنجوم ، فلا شك في أنها أقدم ديانة عرفها البشر في عصر التاريخ . أما أصول هذه الديانة فهي الاعتقاد بتعدد القوى المدبرة لهذا الكون ، وبوجود قوة أعلى تهيمن على هذه القوى وتدبرها ، وما هذه الهياكل التي يقيمونها في الأرض ، وتلك المظاهر والطقوس التي يأتون بها في فروض عباداتهم ، إلا وسائط تقربهم من تلك الأجرام التي حلت فيها القوة فشكل الكوكب إذا نقش على خاتم ، وهندسة البيت إذا بني على شكل خاص ، والحضور إلى الهيكل أو البيعة في أوقات معينة ؛ والتوجه لدى تلاوة الأسماء وتمجيد الآلهة إلى جهة خاصة ، كل هذا مما يقرب الانسان من مصدر القوة الأعلى .

هذه هي أصول ديانة الصابئة في دورها الاول ، وقد بقي بعد تطورها طوال هذه الاعصر شيء من تلك الاصول يوجد في عبادة الصابئة الحاليين من تعظيمهم للكواكب وتكريمهم للنجوم ، ولا سيما الكواكب السيارة السبع . أما النجم القطبي فله مقام ممتاز عندهم . فهو القبلة التي يتجه اليها في كل فرض وطقس يقوم بها المتدين . وكل الشعائر إذا لم يتوجه بها إلى هذا الكوكب فليست بمقبولة . فالهيكل إذا بني وجب جعل بابه مستقبلا له بحيث يكون الداخل اليه مستدبراً هذا النجم ، وبحيث تكون الشعائر التي تؤدى فيه متجه بها الى جهته تبركا بطلعته وتيمنا بما له من خواص .

وكأن هذه الميزة التي امتاز بها هذا الكوكب ، إنما جاءته من جهة ثباته ، وبقائه في موضعه دون أن يغيب عن كبد السماء في كل ليالي الفصول . ومعلوم

ما للمظهر الطبيعي من الاثر – ولا سيما على البشر الاول – في تكوين العقيدة . ولكون الكواكب الاخرى تغيب عن كبد السماء في بعض الفصول ، وتظهر في الفصول الاخرى ، فقد جاءت بعد النجم الثابت في الدرجة .

أما الشمس والقمر فإنهما وإن كانا مستمرين في الظهور ، الا أن ما يطرأ عليهما من الانتقال من برج إلى برج ، ومن النقصان والكمال ، ومن الخسوف والكسوف كاد يفقدهما صفة الثبات التي امتاز بها الكوكب القطبي .

٢ – الصابئة في الدور الثاني

يكاد يكون تاريخ ديانة الصابئة تاريخاً عاماً للأديان الاخرى . فإن السنن التي تمشت عليها هذه الديانة ، والتطورات التي تطورت بها ، تبدو في سنن وتطورات سائر الأديان .

وغريب أن يذهب البعض إلى القول بأن الصابئة انتقلت من دورها الاول الى دورها الثاني مباشرة دون تطور . ولا يستطيع الباحث المنقب – مهما ساعدته المصادر – أن يقف على حلقات الانتقال من الدور الأول « في عبادة الأجرام » الى الدور الثاني « في عبادتها على هيئة الأصنام والرموز والأوابد » و كل ما يعرفه التاريخ أن الصابئة – بعد مرور عهود طويلة – أصبحت تبني الهياكل وتسميها بأسماء الكواكب وتقيم في أوساطها التماثيل ، وتبني على المرتفعات العالية الأوابد والرموز .

أما الاسباب التي دعت الى هذا الانتقال فهي مما تساعد عليه عوامل التطور ، وبقتضيه تقدم البشر في الحضارة . فالفكر وسائر وجودات الانسان الاخرى تتماشى معاً وتتطور على نسق واحد .

وقد فطن « المسعودي » المؤرخ الشهير المتوفى سنة ٣٤٥هـ (٩٥٦م) الى هذا المعنى فذكره قائلا :

«فأقاموا على ذلك – أي أقاموعلى عبادة الله والكواكب – برهة من الزمان وجملة من الاعصار حتى نبههم بعض حكمائهم على أن الأفلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئية إلى الله تعالى ، وأنها حية ناطقة ، وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله ؛ وأن كل ما يحدث في هذا العالم ، فإنما هو على قدر ما تجري بـه الكواكب على أمر الله ، فعظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم ، فمكثوا على ذلك دهراً . فلما رأوا الكواكب تختفي بالنهار ، وفي بعض أوقات الليل لما يعرض في الجو من السواتر ، أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناماً وتماثيل على صورها وأشكالها فجعلوا لها أصناما وتماثيل بعدد الكواكب الكبار المشهورة و كل صنف منهم يعظم كوكبا منها ويقرب لها نوعاً من القربان خلاف ما للآخر على أنهم إذا عظموا ما صوروا من الأصنام ، تحركت لهم الاجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون ، وبنوا لكل صنم بيتاً وهيكلا منفرداً وسموا تلك الهيا كل بأسماء تلك الكواكب»[1]

أما الرموز فكانت عبادة ترمي إلى إظهار الاجسام العلوية بأجسام طبيعية سفلية فالنار ، والماء ، والهواء ، مما يرمز به الى تلك الكواكب ، لأنها صادرة منها ، ومن هنا جاءت عبادة النار ، واستقل بها فرع من الصابئة دعي بعد ذلك (بعبادي النار أو المجوسية)

ولا يزال الصابئون الحاليون يقدسون مظاهر الطبيعة ، ويرون في النار والشهب والرعد ، والبرق ، وسائر الظواهر الجوية ، رمزاً يعبر عن احدى تلك الكواكب ، وقد تخيلوا لتلك الاجرام العلوية أشكالا خاصة نحتوا على صورها الاوابد والتماثيل المقامة في الاماكن المرتفعة ؛ فكان لكل نجم صورة ، ولكل كوكب تمثال خاص يمثله في أدوار ظهوره ، وهكذا ظلت الاوابد والتماثيل الخالدة تعبر لنا عن تفكير البشر

---

(١) مروج الذهب (القاهرة ١٩٣٨م) ج ٢ ص ١٣٥

الاول في حالته وتصوره للقوة المدبرة .

٣ - الصابئة في الدور الثالث

بدأ هذا الدور باستقرار ديانة الصابئة ، ودخولها ضمن الكتب والاسفار، واعتناء الكهنة بدراستها وتدريسها، فكانت وكان فيها مجال واسع للنظر ، والبحث ، والفلسفة والتعليل ، شأن كل ديانة تستقر وتستمر .

والذي يظهر من تتبع التاريخ أن هذا الدور كان دور تعليل وتحليل لاصول الديانة، وكان لانقطاع الرهبان والكهنة إلى الدراسة والعبادة شأن في إدخال الآراء الفلسفية على تعاليم الدين . أضف إلى ذلك أن العلم بظواهر الكون ، والبحث فيه ، كان من جملة ما تدرّسه المدرسة الاولى ، وما نعني بالبحث عنه ، فكان لزاماً أن يتأثر الدين بالفلسفة ، وأن تظهر التعديلات النظرية في المعتقدات الدينية ، ولاسيما وان الفلسفة في تلك العصور لم تكن في مبادئها علمية بحتة ؛ بل كان للدين تأثير عليها فكان مما لابد منه أن تصبح الفلسفة دينية ، وأن يصبح الدين فلسفة .

فتعاليم الصابئة في هـذا الدور تأثرت نوعاً ما بهذا النوع من الفلسفة ، وكانت الأبحـاث تدور عن حقيقة التمثيل والقوة ؛ وعن قابلية الكواكب واستعدادها ، وعن التأثيرات الكونية وعلاقتها بهذه الكواكب، وعن خواص الاسماء والحروف وعن مبدأ العالم ومنتهاه .

كل هذه الأشياء كانت مما يبحث عنها ، ولكن عللها لم تكن علمية بحتة ، نظراً لبداية البشر في فهم الكون ، إنما كانت كل التعديلات دينية ترتبط بخالق القوة وبمشيئته . فالشكل المربع مثلا في نظرهم إذا كتب في ساعة معينة من ساعات النهار أو الليل بحروف خاصة لكوكب من الكواكب السيارة أصبح ذا أثر في الخارج . أما السبب في هذا الأثر ، وفي هذه القوة التي ظهرت في المربع فمستند في نظرهم

إلى ما منح الله ذلك الكوكب من قوة التأثير ، وهكذا كانت تعلل كل أصول الدين وأسراره بأمثال هذه العلل .

ويمكننا من دراسة تاريخ بعض الديانات أن نعرف الأدوار التي ظهر فيها بعض الانبياء ، فزمن الخليل الذي جاء ذكره في القرآن الكريم ، وطرق استدلاله ومحاججته يبين بوضوح أنه جاء في زمن الفلسفة الدينية ، أي الدور الثالث للديانه الصابئية . ولم تنجُ هذه الديانة — كغيرها من الاديان — من التأثر بالفلسفة اليونانية التي جاءت بعد أن نضجت الفلسفة ، وحاولت الاستقلال عن الدين ، فقد أدخل الصابئون كثيراً من الآراء الفلسفية اليونانية في تعاليمهم ، وقد يكون هذا التجدد في نهاية الدور الثالث الذي دعي بعد ذلك بدور الفلسفة .

٤ - الصابئة في الدور الرابع

كان للانقلاب الذي حدث قبل المسيح (ع) وما جاء بعده من تطورات دينية أثر بيّن في سائر الديانات الاخرى ، و كانت فكرة ظهور مجدد للديانة متغلغلة في نفوس أصحاب كل دين . فقد مال الصابئة إلى الاعتقاد بأن يوحنا المعمدان هو الرجل المجدد المنتظر فاعتقدوا به ، وعظموه ، وما زال الصابئة حتى الآن يذكرون له بعض التعاليم ، ويعتقدون به كنبي مجدد أرسل اليهم دون غيرهم من البشر .

ومن الخطأ الاعتقاد بأن الصابئة قد انقرضت منذ ظهور المسيح (ع) وان المعتقدين بها قد اندمجوا بالديانة النصرانيه ، إذ لا يزال القسم الكبير من الصابئة الحاليين يعتقدون بأصول المعتقد الاول الذي يومي الى تقديس الكواكب وتأليه النجوم أو تعظيمها .

الصابئون لغة

قال ابن منظور صاحب (لسان العرب) المتوفى سنة ٧١١ هـ ١٣١١ م في مادة صبأ

(صبأ) الصابئون قوم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام بكذبهم · وفي الصحاح جنس من أهل الكتاب وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار ، التهذيب الليث · الصابئون قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون أنهم علَى دين نوح وهم كاذبون · وكان يقال للرجل إذا اسلم في زمن النبي ﷺ قد صبأ عنوا انه خرج من دين الى دين وقد صبأ يصبأ صبئاً وصبوءاً وصبوُ يصبوُ صبأ وصبوأ كلاهما خرج من دين الى دين آخر كما تصبأ النجوم أي تخرج من مطالعها · وفي التهذيب صبأ الرجل من دينه يصبأ صبوأ إذا كان صابئاً · أبو اسحق الزجاج في قوله تعالى والصابئين معناه الخارجين من دين الى دين يقال صبأ فلان يصبأ إذا خرج من دينه أبو زيد يقال أصبأت القوم إصباءاً إذا هجمت عليهم وأنت لا تشعر بمكانهم وأنشد «هوى عليهم مُصبئاً منقضا» وفي حديث بني جذيمة كانوا يقولون لما أسلموا صبأنا صبأنا وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابئ لأنه خرج من دين قريش الى الاسلام ويسمون من يدخل في دين الاسلام مصبوّاً لأنهم كانوا لا يهمزون فأبدلوا من الهمزة واواً ، ويسمون المسلمين الصباة بغير همز كأنه جمع الصابي غير مهموز كقاضٍ وقضاة وغاز وغزاة · وصبأ عليهم يصبأ صبأ وصبوأ وأصبأ كلاهما طلع عليه وصبأ ناب الخف والظلف والحافر يصبأ صبوءاً طلع حدّه وخرج · وصبأت سنُّ الغلام طلعت · وصبأ النجم والقمر يصبأ وأصبأ كذلك ، وفي الصحاح أي طلع الثريا قال الشاعر يصف قحطا :

وأصبأ النجم في غبراء كاسفة   كأنه بائس مجتابُ أخلاق

وصبأت النجوم إذا ظهرت وقدم اليه طعام فما صبأ ولا أصبأ فيه أي ما وضع فيه يده عن ابن الاعرابي أبو زيد يقال صبأت على القوم صبأ وصبعت وهو أن تدل عليهم غيرهم · وقال ابن الاعرابي صبأ عليه إذا خرج عليه ومال عليه بالعداوة وجعل قوله

عليه الصلاة والسلام لتعودن فيها أساور صُبيٌّ فعلا من هذا خفف همزه أراد أنهم كالحيات التي يميل بعضها على بعض » انتهى بنصه (١)

وقال الفيومي صاحب « كتاب المصباح المنير » المتوفى سنة ٧٧٠هـ ١٣٦٨م .

« ... وصبأ من دين الى دين يصبأ مهموز بفتحتين خرج فهو صابئٌ . ثم جعل هذا اللقب علما على طائفة من الكفار يقال إنها تعبد الكواكب في الباطن وتنسب الى النصرانية في الظاهر ، وهم الصابئة والصابئون ، ويدعون أنهم على دين صابئ بن شيث بن آدم (٢)

هذا أهم ما جاء في اللغة العربية عن الصابئة « وذهب جسنيوس العالم اللغوي الالماني الى أن كلمة صابئين مشتقة من صباؤوث العبرانية أي جند السماء دلالة على أنهم يعبدون الكواكب . وذهب نولدكي الى أنها مشتقة من صبَّ الماء إشارة الى إعتمادهم بالماء لأنهم يعتمدون كالنصارى وقال غيره ان الديانة المسيحية اتصلت ببقية الكلدانيين فنشأ منهم مسيحيو مار يوحنا في البصرة وهم الصابئون » (٣)

هذا قليل من كثير مما جاء عن تعريف كلمة الصابئة لغوياً

---

(١) لسان العرب ج١ ص ١٠٢-١٠٣ (٢) المصباح المنير « القاهرة ١٩١٢» ص ٥٠٩

(٣) القس صموئيل زويمر في « المقتطف ج ٢٣ ص ٨٧ »

فرق الصابئة

لاشك أن أهم ما يلزم للباحث – حينما يريد أن يجزّئ مبحثا من المباحث او ينظر في موضوع من الموضوعات – هو أن يلقي نظرة إجمالية على ذلك المبحث أو الموضوع، ليكون للقارئ فكرة عامة عن منشأ تلك التجزئة ومبعث ذياك التقسيم.

ومن الصعب جداً أن نتوصل بصورة تاريخية دقيقة إلى الأزمنة التي تفرّعت فيها الاديان، وتجزأت فيها المذاهب، ولكن ذلك لا يمنعنا من الدخول في موضوع «الصابئة» وأمثالها من الاديان القديمة الكبرى، ولا يمنعنا أيضا من البحث عن فرقها التي تفرّعت عنها.

ولئن كانت لفظة « الصابئة » عامة تتناول – بحسب مفهومها – قسما واحداً من المتدينين بهذا الدين، فإن البحث التاريخي يدلنا على فرق متعددة، ومذاهب متشعبة، تندمج كلها تحت هذا الاسم، ويجمعها جامع هذا المفهوم؛ على ما بينها من اختلاف في العقيدة والفروع، وعلى ما اصابها من تطوّر في الزمان والمكان.

وقد تطرق العلماء والمحدثون إلى تقسيم الصابئة، وبيان الفرق التي نشأت منها، وعرّفوا كل قسم بما له من معتقد، وبما يمتاز به من عبادة، وما يقطنه من مكان، إلا أن القسم الاغلب من أولئك الباحثين كان معتمداً في بحثه على غيره، وكان ناقلاً مجرداً، غير متبحر ولا متوغل. ولعل أحسن من توسع في هذا البحث، وبيّن الفرق الصابئية على اختلاف انواعها وألوانها، مستنداً إلى العقل والنقل، هو الامام أبو الحسن علي بن محمد المكنى بأبي علي بن سالم التغلبي، الفقيه الاصولي الملقب سيف الدين الآمدي المتوفى عام ٦٣١هـ (١٢٣٣م) فقد ذكر في مخطوطه (كتاب أبكار الافكار) ان أشهر فرق هذه الملة أربع وهي:

الفرقة الاولى

« اصحاب الروحانيات : وقد يقال ذلك بالرفع أخذاً من الروح، وهو جوهر ، وقد يقال بالنصب وهو حالة خاصة به ، وقد زعم هؤلاء ان اصل وجود العالم يتقدّس عن سمات الحدث ، وهو أجل وأعلى من أن يتوصل إلى جلاله بالعبودية له ، والخدمة من السفليات وذوات الانفس المنغمسة في عالم الرذائل والشهوات ، وإنما يتقرب اليه بالمتوسطات بينه وبين السفليات وهي امور روحانية مقدسة عن المواد الجرمانية — نسبة إلى الجرم — والقوى الجسمانية والحركات المكانية ، والتغييرات الزمانية في جوار رب العالمين ، مجبولون على تقديسه وتمجيده وتعظيمه دائما وسرمداً .

« قالوا وهم آلهتنا وأربابنا ووسائلنا إلى حاجاتنا ، وبهم يتقرّب الى الله تعالى . وهي المديرة للكواكب الفلكية ، والمدبّرة لها على التناسب المخصوص بحيث يتبعها انفعالات في العناصر السفلية ، وحركات بعضها إلى بعض ، وانفعال بعضها عن بعض عند الاختلاط والامتزاج المفضي الى التركيب الموجب لتنوّع المركبات ، الى انواع المعادن والنبات والحيوانات ، وتصريف موجودات الاعيان من حال الى حال ، ومن شأن الى شأن ، الى غير ذلك من الآثار العلوية والسفلية .

وزعموا ان الكواكب الفلكية هي هياكل هذه الروحانيات ، وان نسبة الروحانيات اليها في التقدير لها ، والتدوير ، نسبة الانفس الانسانية الى ابدانها ، وأن لكل روحاني هيكلا يخصه ولكل هيكل فلكا يكون فيه . وزعموا ان المعرّف لهم: غاريمون وهرمس اللذان هما أصل علم الهيئة وصناعة النجامة . وهرمس هو أول من قسَّم البروج ، ووضع أسماءها ، وأسماء الكواكب السيارة ، ورتبها في بيوتها ، وبيَّن الشرف والوبال ، والاوج والحضيض ، والمناظر والتثليث ، والتسديس ، والتربيع ، والمقابلة ، والمقارنة ، والرجوع والاستقامة ، والميل والتعديل ، واستقل باستخراج

اكثر الكواكب واحوالها ، وقيل ان غارميون هو شيث ، وهرمس هو ادريس عم.

الفرقة الثانية

« أصحاب الهياكل : فانهم قالوا إذا كان لا بدّ للانسان من متوسط ، فلا بد أن يكون ذلك المتوسط بما نشاهده ونراه ، حتى نتقرب اليه . والروحانيات ليست كذلك فلا بد من متوسط بينها وبين الانسان ، واقرب ما اليها هياكلها فهي الآلهة والارباب المعبودة ، والله تعالى رب الارباب ، واليها التوسل والتقرب ، فإن التقرب اليها تقرّب الى الروحانيات ، التي هي كالارواح بالنسبة اليها.

« ولا جرم أنهم دعوا الى عبادة الكواكب السبعة السيارة ، ثم أخذوا في تعريفها ، وتعريف أحوالها بالنسبة الى طبائعها ، وبيوتها ، ومنازلها ، ومطالعها ، ومغاربها ، واتصالاتها ، ونسبتها إلى الاماكن والازمان ، والليالي ، والساعات ، وما دونها ، الى غير ذلك ثم تقربوا الى كل هيكل وسألوه بما يناسبه من الدعوات ، فيما يناسبه من الاماكن ، والازمان واللباس الخاص به ، والتختم بالخاتم المطبوع على صورته. والهياكل عندهم أحياء ناطقة بحياة الروحانيات التي هي أرواحها ، ومتصرفة فيها ، وفيهم من جعل هيكل الشمس رب الهياكل والارباب ، وهذه الهياكل هي المدبرة لكل ما في عالم الكون والفساد على ما سلف ذكره في تعريف مذهب الفريق الأول ، وربما احتجوا على وجود هذه المدبرات ، وأنها احياء ناطقة ، بأن حدوث الحوادث إما أن يكون مستنداً الى حادث اوقديم ، ولا جائز أن يكون مستنداً الى حادث ، اذ الكلام فيه كالكلام في الأول ، والتسلسل والدور محالان ، فلم يبق الا أن يكون مستندا الى ما هو في نفسه قديم ، وذلك القديم اما أن يكون موجبا بذاته او بالاختيار فان كان الاول ، فاما أن يكون كل مالا بد منه في ايجاد الحوادث محققاً معه ، أو انه متوقف على تجدد ، فان كان الاول ؛ فيلزم قدم المعلول ، والقدم علته شرطه وهو

محال ، وان كان الثاني فالكلام في تجدد ذلك الأمر كالكلام في الاول ؛ وهو تسلسل فلم يبق الا أن يكون فاعلا مختاراً ، وليس في عالم الكون والفساد فاعل قديم مختار الا الأفلاك والكواكب ولذلك حكموا بكونها أحياء ناطقة .

الفرقة الثالثة

أصحاب الاشخاص : وهؤلاء زعموا أنه إذا كان لا بد من متوسط مرئي ؛ فالكواكب وإن كانت مرئية ، إلا أنها قد ترى في وقت واحد دون وقت، لطلوعها وأفولها ، وظهورها ، وصفائها نهاراً ، فدعت الحاجة إلى وجود اشخاص مشاهدة نصب اعيننا تكون لنا وسيلة الى الهياكل، التي هي وسيلة إلى الروحانيات ، التي هي وسيلة الى الله تعالى ، فاتخذوا لذلك اصناما مصورة على صور الهياكل السبعة . كل صنم من جسم مشارك في طبيعته لطبيعة ذلك الكوكب ، ودعوه وسألوه بما يناسب ذلك الكوكب في الوقت والمكان ، واللبس والتختم بما يناسبه ، والتخير المناسب له على حسب ما يفعله أرباب الهياكل إلا أنها هي المعبودة على الحقيقة ، وهذا هو الاشبه بسبب اتخاذ الاصنام .

ويحتمل أن يكون اتخاذ الاصنام ، بالنسبة إلى غير هذه الفرقة ، وتعظيمها لاتخاذها قبلة لعباداتهم ، او لأنها على صورة بعض من كان يعتقد فيه النبوة والولاية تعظيما له ، او لأن قدماء أرباب الهياكل والاصنام وعلمائهم ، ركبوا طلاسم ؛ ووضعوها فيها ، وأمروهم بتعظيمها لتبقى محفوظة بها ، والا فاعتقاد الإلهية فيما اتخذوا صوراً من الاخشاب ، والاحجار ، وكونه خالقا لمن صوره ، ومبدعا لمن وجدوه قبل وجوده من العالم العلوي والسفلي ، مما لا يستجيزه عقل عاقل ، بل البداهة شاهدة برده ، وابطاله وان وقع ذلك معتقد البعض الرقاع (كذا) ومن لا خلاق له من العوام منهم فلا يلتفت اليه ولا معوّل عليه .

الفرقة الرابعة

« الحيلولة : وهؤلاء زعموا أن الإله المعبود واحد في ذاته ، وأنه أبدع أجرام الافلاك وما فيها من الكواكب ، وجعل الكواكب مدبراً لما في العالم السفلي ، فالكواكب آباء احياء ناطقة ، والعناصر امهات ، وما تؤديه الآباء من الآثار الى الامهات تقبلها بأرحامها ، فتحصل من ذلك المواليد وهي المركبات ، والإله تعالى يظهر في الكواكب السبعة ، ويتشخص بأشخاصها ، من غير تعدد في ذاته وقد يظهر ايضا في الاشخاص الارضية الخيرة الفاضلة ، وهي ما كان من المواليد ، وقد يتركب من صفو العناصر دون كدرها ، واختص بالمزاج القابل لظهور الرب تعالى فيه إماذاته واما صفة من صفات ذاته ، على قدر استعداد ذلك الشخص . وزعموا ان الله يتعالى عن خلق الشرور ، والقبائح ، والاشياء الخسيسة الدنية كالحشرات الارضية ونحوها ، بل واقعة ضرورة انصالات الكواكب ، سعادة ونحوسة ، واجتماعات العناصر صفوة وكدورة ، وزعموا ايضا أنه على رأس ستة وثلاثين الف سنة واربعمائة وخمس وعشرين سنة يحدث روحاني على رأس الدور الآخر ، وكذا الى ما لا يتناهى ، وأن الثواب والعقاب على أفعال الخير والشر كل دور واقع لكن في الدور الذي بعده في هذه الدار لا في غيرها .

« والصابئة على اختلافهم في المبادئ متفقون على وجوب ثلاث صلوات لهم ، والاغتسال من الجنابة ، ومس الميت ، وعلى تحريم لحم الخنزير ، والكلب ، والجزور ، وماله مخلب من الطير ، والسكر ، وأمروا بالنكاح من ولي وشهود ، ونهوا عن الجمع بين امرأتين ، وعن الطلاق إلا بحكم حاكم شرعي ، إلى كثير من الاحكام المشروعة في شرعنا هذا » إه

الفرق بين فرق الصابئة

لعل التقسيم الذي أثبته « سيف الدين الآمدي » في مخطوطته « كتاب أبكار

الافكار » كان فيما يخص الصابئة على الاطلاق ، وفي مختلف عصورها القديمة ، ونحن نعلم أن الصابئة اسم لأمة عاشت في اويقات مختلفة ، وعصور متباينة ؛ وأن ذكرها قد ورد في كتب مقدسة ، وأخرى تاريخية قديمة ، مما لا بد من الاشارة اليه ولو اشارة طفيفة ، وإن كان بحثنا الرئيسي يستهدف « صابئة البطائح » الذين ينتشرون على ضفاف الانهر الكبيرة في جنوبي العراق .

ومن المتعذّر جداً ان يوفق الباحث في المذاهب والمعتقدات لمعرفة ما بين فرق الصابئة من الرابطة ، فقد ذكر القرآن قسماً من الصابئة نعتقد أنه انقرض وعفت اخباره ، وذكر المؤرخون قسماً آخر من الصابئة عرف « بالصابئة الحرانية » لا نرى علاقة له بصابئة العراق الحاليين ، وسنعالج هذه الاقسام فيما يلي بقدر ما وصل اليه علمنا القليل

صابئة القرآن

ورد ذكر «الصابئة» في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

الاول — في الآية ٦٢ من السورة الثانية «سورة البقرة» قوله تعالى :

« إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَالَّذينَ هَادُوا وَالنَّصارى وَالصَّابِئينَ مَنْ آمنَ مِنهُمْ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صالحاً فلَهُمْ أجرُهُمْ عِنْدَ رَبِهِمْ وَلاخَوْفٌ عليهِمْ وَلاهُمْ يحزَنُونَ»

الثاني — في الآية ٦٩ من السورة الخامسة «سورة المائدة» قوله عز من قائل :

«إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَالَّذينَ هادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصارى مَنْ آمنَ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صالحًا فلاخَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلاهُمْ يحزَنُونَ » إهـ

الثالث — في الآية ١٧ من السورة ٢٢ «سورة الحج» قوله جل جلاله :

« إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَالَّذينَ هادُوا وَالصَّابِئينَ وَالنَّصارَى وَالمَجوسَ وَالَّذينَ أشرَكُوا إنَّ اللهَ يَفصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ القِيامَةِ إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شيْءٍ شَهيدٌ » إهـ

قال الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى سنة ٥٥٢ هـ ١١٥٧ م « وهو من أكابر

علماء الامامية في القرن السادس » في تفسير كلمة « الصابئة » الواردة في سورة البقرة :

« والصابئون جمع صابئ ؛ وهو من انتقل إلى دين آخر . و كل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره سمي في اللغة صابئاً . قال أبو علي ، قال أبوزيد: صبأ الرجل في دينه يصبأ صبوءاً إذا كان صابئاً ، وصبأ ناب الصبي يصبأ صبئاً إذا طلع ، وصبأت عليهم تصبا صبا وصبوا إذا طلعت عليهم ، وطرأت مثله ، فكأن معنى الصابئ التارك دينه الذي شرّع له ، إلى دين غيره . كما أن الصابئ على القوم تارك لأرضه ومنتقل إلى سواها والدين الذي فارقوه هو تركهم التوحيد إلى عبادة النجوم أو تعظيمها . قال قتادة: هم قوم معروفون ، ولهم مذهب يتفردون به ؛ ومن دينهم عبادة النجوم ، وهم يقرون بالصانع ، وبالمعاد ، وببعض الأنبياء . وقال مجاهد والحسن : الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين لهم ، وقال السديّ : هم طائفة من أهل الكتاب يقرأون الزبور ؛ وقال الخليل : هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب ، حيال منتصف النهار ، يزعمون أنهم علَى دين نوح . وقال ابن زيد : هم أهل دين من الأديان كانوا بالجزيرة ، جزيرة الموصل ، يقولون لا إله إلا الله ولم يؤمنوا برسول الله فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأصحابه: هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم ، وقال آخرون : هم طائفة من أهل الكتاب ، والفقهاء بأجمعهم يجيزون أخذ الجزية منهم ؛ وعندنا لا يجوز ذلك لأنهم ليسوا بأهل كتاب »[1]

الصابئة الحرانية

قال أبو الفرج محمد بن اسحق بن محمد بن اسحاق الورّاق البغدادي المعروف بابن النديم ، المتوفى نحو عام ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) .

« قال أبو يوسف أيشع القطيعي النصراني في كتابه في الكشف عن مذاهب الحرانيين المعروفين في عصرنا بالصابئة : « إن المأمون اجتاز في آخر أيامه بديار مضر

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ١/١٢٦ « صيدا ١٣٣٣ مطبعة العرفان »

يريد بلاد الروم للغزو ، فتلقاه الناس يدعون له ، وفيهم جماعة من الحرنانيين ؛ و كان زيهم إذ ذاك لبس الأقبية ؛ وشعورهم طويل بوفرات كوفرة قوة جد سنان بن ثابت فأنكر المأمون زيهم وقال لهم من أنتم من الذمة؟ فقالوا : نحن الحرنانية ! فقال أنصارى أنتم ؟ قالوا لا ! قال فمجوس أنتم ؟ قالوا لا ! قال لهم أفلكم كتاب أم نبي ؟ فجمجموا في القول . فقال لهم فأنتم إذن الزنادقة ؛ عبدة الأوثان ، وأصحاب الرأس في أيام الرشيد والدي ، وأنتم حلال دماؤكم ، لا ذمة لكم ! فقالوا : نحن نؤدي الجزية ! فقال لهم إنما تؤخذ الجزية ممن خالف الاسلام من أهل الأديان الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه ، ولهم كتاب ، وصالحه المسلمون عن ذلك فأنتم ليس من هؤلاء ولا من هؤلاء فاختاروا الآن أحد أمرين : إما ان تنتحلوا دين الاسلام ، أو ديناً من الأديان التي ذكرها الله في كتابه ، وإلا قتلتكم عن آخركم فإني قد أنذرتكم إلى أن أرجع من سفرتي هذه فإن أنتم دخلتم في الإسلام أو في دين من هذه الاديان التي ذكرها الله في كتابه وإلا أمرت بقتلكم واستئصال شأفتكم . ورحل المأمون يريد بلد الروم فغيروا زيهم وحلقوا شعورهم وتركوا لبس الأقبية ، وتنصر كثير منهم ولبسوا زنانير ، وأسلم منهم طائفة ، وبقي منهم شرذمة بحالهم ، وجعلوا يحتالون ويضربون حتى انتدب لهم شيخ من أهل حران فقيه فقال لهم : قد وجدت لكم شيئاً تنجون به وتسلمون من القتل ؛ فحملوا إليه مالا عظيما من بيت مالهم ، احدثوه منذ ايام الرشيد إلى هذه الغاية ، اعدوه للنوائب وأنا أشرح لك أيدك الله السبب في ذلك فقال لهم : إذا رجع المأمون من سفره فقولوا له : نحن الصابئون فهذا اسم دين قد ذكره الله جل اسمه في القرآن فانتحلوه فأنتم تنجون به . وقضي أن المامون توفي في سفرته تلك بالبذندون وانتحلوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت لأنه لم يكن بحرّان ونواحيها قوم يسمون بالصابئة . فلما اتصل بهم وفاة المأمون ارتد أكثر من كان تنصر منهم ؛ ورجع إلى الحرنانية وطوّلوا شعورهم حسب ما كانوا عليه قبل مرور المأمون

بهم على أنهم صابئون ، ومنعهم المسلمون من لبس الاقبية لأنه من لبس أصحاب السلطان ، ومن أسلم منهم لم يمكنه الارتداد خوفاً من أن يقتل فأقاموا متسترين بالإسلام ، فكانوا يتزوجون نساء حرّانيات ، ويجعلون الولد الذكر مسلماً ، والانثى حرنانية . وهذه كانت سبيل كل أهل ترعوز وسلمسين : القريتين المشهورتين العظيمتين بالقرب من حران الى منذ نحو عشرين سنة فإن الشيخين المعروفين بأبي زرارة وأبي عروبة ، علماء شيوخ أهل حرّان بالفقه والأمر بالمعروف وسائر مشايخ أهل حران وفقهائهم احتسبوا عليهم ، ومنعوهم من أن يتزوجوا بنساء حرانيات ، أعني صابيات ، وقالوا لا يحل للمسلمين نكاحهم لأنهم ليسوا من أهل الكتاب . وبحران أيضاً منازل كثيرة إلى هذه الغاية ؛ بعض أهلها حرنانية ممن كان أقام على دينه في أيام المأمون ، وبعضهم مسلمون ، وبعضهم نصارى ممن كان دخل في الاسلام وتنصر في ذلك الوقت الى هذه الغاية مثل قوم يقال لهم بنو أبلوط ، وبنو قيطران وغيرهم مشهورين بحران»(١)

هذا هو النص الذي أثبته (ابن النديم) في « فهرسته » عن « صابئة حران »

والذي يظهر من أسئلة المأمون لهؤلاء القوم ، الذين صادفهم في سفره ؛ والذين لم يكن على علم بهم ، مع ما كان عليه من سعة العلم ، وواسع المعرفة والاطلاع على مختلف الأديان والنحل ، حيث كان يجتمع في مجلسه العلمي رؤساء المذاهب والأديان على اختلافها ، انهم لم يكونوا في بدء الأمر صابئة ، وليس لهم علاقة بالصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، يدلنا على ذلك أنهم فكروا في الأمر ملياً ، وانهم اضطروا إلى أن يستشيروا فقهاء حرّان وعلماءها وشيوخها في الأمر ، فلو انهم كانوا من فرق الصابئة لما أشكل هذا الأمر عليهم ، ولما احتاجوا إلى أن ينتحلوا هذا الاسم انتحالا

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٢٠ - ٣٢١ من طبعة لايبسك سنة ١٨٧١

وكانت وفاة المأمون في عام ٢١٨هـ (آب ٨٣٣م) فيكون « الحرانيون » قد انتحلوا هذا الاسم من ذلك الوقت ، ولم يكن بحران قوم يسمون أو يعرفون بالصابئة قبل هذا العام .

على أننا نعرف من تاريخ الصابئة الحاليين ، هم أقرب إلى الصابئة الأقدمين من غيرهم ، انهم يعيشون على ضفاف الأنهر : كدجلة ، والفرات ، وشط العرب ، وكارون وانه لا أثر لديانة الصابئة في حران ولا معبد لهم مقدساً هناك ، وما شوهد من طقوسهم الدينية ، وطرز معيشتهم ، وعبادتهم ؛ وانتسابهم إلى الأرض التي يسكنونها دون العبادة التي يعبدونها ؛ كل ذلك يدلنا على أن (الحرانية) دين قديم أراد أصحابه الإبقاء عليه فانتحلوا له اسم (الصابئة) انتحالا .

وقد نقلت عدة مراجع (كلام ابن النديم) على علاته ؛ ونقله علماء ومستشرقون من الألمان إلى كتبهم فلم يناقشوه ؛ مع ما عرف به الألمان ، وسائر المستشرقين ، من التمحيص والتدقيق ، فكأنهم اكتفوا بهذا الكلام ، ولم يفرقوا بين ما ذكره القرآن من الصابئة ، وبين (الصابئة الحرانية)

قال الإمام أبو الفتح : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ (١١٥٣م) يصف (الصابئة الحرانية) وعقائدهم ما نصه :

(هم جماعة من الصابئة قالوا الصانع المعبود واحد كثير ، أما الواحد ففي الذات والأول والأصل والأزل ؛ وأما الكثير فلأنه يتكثر بالأشخاص في رأي العين ، وهي المدبرات السبع ، والأشخاص الأرضية الخيرة العالمة الفاضلة ، فإنه يظهر بها ويتشخص بأشخاصها ؛ ولا تبطل وحدته في ذاته ، وقالوا هو أبدع الفلك ، وجميع ما فيه من الأجرام والكواكب ، وجعلها مدبرات هذا العالم ، وهم الآباء ، والعناصر أمهات ، والمركبات مواليد ، والآباء أحياء ناطقون ، يؤدون الآثار إلى العناصر

فتقبلها العناصر في أرحامها ، فيحصل من ذلك المواليد ، ثم من المواليد قد يتفق شخص مركب من صفوها دون كدرها ، ويحصل مزاج كامل الاستعداد فيتشخص الإله به في العالم ، ثم ان طبيعة الكل تحدث في كل إقليم من الأقاليم المسكونة على رأس كل ستة وثلاثين الف سنة وأربعمائة وخمس وعشرون سنة زوجين من كل نوع من أجناس الحيوانات ذكراً وأنثى ، من الإنسان وغيره ، فيبقى ذلك النوع تلك المدة ، ثم إذاانقضى الدور بتمامه انقطعت الانواع نسلها وتوالدهافيبتدئ دور آخر ، ويحدث قرن آخر من الانسان والحيوان والنبات ، و كذلك أبد الدهر ، قالوا وهـذه هي القيامة الموعودة على لسان الأنبياء ، وإلا فلا دار سوى هذه الدار ، وما يهلكنا إلا الدهر ، ولا يتصور إحياء الموتى، وبعث من في القبور، «أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا انكم مخرجون ، هيهات هيهات لما توعدون» ، وهم الذين أخبر التنزيل عنهم بهذه المقالة ، وإنما نشأ أصل التناسخ والحلول من هؤلاء القوم ، فإن التناسخ هو أن يتكرر الأكوار والادوار إلى ما لا نهاية ، ويحدث في كل دور مثلما حدث في الأول . والثواب والعقاب في هذه الدار ، لا في دار أخرى لا عمل فيها ، والأعمال التي نحن فيها إنما هي أجزية على أعمال سلفت منا في الأدوار الماضية ، والراحة والسرور والفرح والدعة التي نجدها هي مرتبة على أعمال البر التي سلفت منا ، والغم ، والحزن ، والضنك والكلفة التي نجدها هي مرتبة على أعمال الفجور التي سبقت منا ، و كذا كان في الاول ، و كذا يكون في الآخر ، والانصرام من كل وجه غير متصور من الحكيم وأما الحلول فهو التشخص الذي ذكرناه ، وربما يكون ذلك بحلول ذاته ، وربما يكون بحلول جزء من ذاته على قدر استعداد مزاج الشخص ، وربما قالوا إنما تشخص بالهيا كل السماوية بكلها ، وهو واحد إنما يظهر فعله في واحد واحد بقدر آثاره فيه ، وتشخصه به فكأن الهيا كل السبعة أعضاؤه السبعة و كأن أعضاءنا السبعة هيا كله السبعة ، فيها يظهر فينطق بلساننا ، ويبصر بأعيننا ، ويسمع بآذاننا ، ويقبض ويبسط بأيدينا ،

ويجيء ويذهب بأرجلنا ، ويفعل بجوارحنا . وزعموا أن الله تعالى أجل من أن يخلق الشرور والقبائح والاقذار والخنافس والحيات والعقارب ، بل هي كلها واقعة ضرورة باتصالات الكواكب سعادة ونحوسة ، واجتماعات العناصر صفوة و كدورة ، فما كان من سعد وخير وصفوة ، فهو المقصود من الفطرة فينسب إلى الباري تعالى ؛ وما كان من نحوسة وشر و كدر فهو الواقع ضرورة فلا ينسب إليه بل هي إما اتفاقيات وضروريات واما مستندة إلى أصل الشرور والاتصال المذموم ، والحرنانية ينسبون مقالتهم الى عاذيمون وهرمس وأعيان وأواذي : أربعة من الأنبياء ، ومنهم من ينسب الى سولون جد أفلاطون لأمه ؛ ويزعم أنه كان نبياً ، وزعموا أن أواذي حرم عليهم البصل والحريث والباقلي ؛ والصابيون كلهم يصلون ثلث صلوات ويغتسلون من الجنابة ، ومن مس الميت ، وحرموا أكل الخنزير ، والجزور والكلب ، ومن الطير كل ماله مخلب ، والحمام ، ونهوا عن السكر في الشراب ، وعن الاختتان ، وأمروا بالتزويج بولي وشهود ، ولا يجوزون الطلاق الا بحكم الحاكم ، ولا يجمعون بين امرأتين ، وأما الهياكل التي بناها الصابية على أسماء الجواهر العقلية الروحانية ، وأشكال الكواكب السماوية ، فمنها هيكل العلة الأولى ، ودونها هيكل العقل ، وهيكل السياسة ، وهيكل الضرورة ، وهيكل النفس مدورات الشكل ، وهيكل زحل مسدس ، وهيكل المشتري مثلث ، وهيكل المريخ مربع مستطيل ، وهيكل الشمس مربع ، وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع ، وهيكل عطارد مثلث في جوف مربع مستطيل وهيكل القمر مثمن » اه [1]

﴿ صابئة البطائح ﴾

يعيش بين ظهرانينا في العراق قسم من الناس لهم تقاليدهم ، ولهم عاداتهم ولغتهم

---

(١) الشهرستاني «الملل والنحل» ص٢٤٨ – ٢٥١ ج٢ من طبعة لندن ١٨٤٢

ويكادون أن يكونوا ممتازين بكل مظاهر حياتهم، وحتى بأشكالهم وسحنة وجوههم ويطلق عليهم اسم الصابئة .

وقد يكون هؤلاء هم الصابئة الأصليون وقد لا يكونون ؛ إلا ان الشيء المحقق عندنا هو أن قسماً كبيراً من عبادة الصابئة القديمة ، وطقوس دينهم ؛ بارزة بين معتقدات هؤلاء القوم وبين طقوسهم الدينية ، كاحترام النجوم ، واستقبال نجم القطب وتكريم الكواكب السيارة وغير ذلك من أصول الدين الصابئي مما يتدين به هذا المجموع الممتاز .

وقد يتعرّف الباحث من اللغة التي يتكلم بها هؤلاء[1] ومن إسبالهم شعور رؤوسهم ولحاهم ، أنهم شعب غريب نزح الى هذه البلاد واستوطنها واحتفظ بما له من عادات وتقاليد ، والتزم بالسكن على ضفاف الأنهر ، وبقرب المياه الجارية ، نظراً لما يقيمه من الطقوس الدينية التي لا تتم الا بالارتماس في الماء الجاري ، لهذا عرف هذا القسم من الناس بصابئة البطائح ، نسبة الى بطائح العراق المشهورة[2]

---

(١) يتكلم الصابئون الحاليون اللغة المندائية ؛ وهي لغة سامية قريبة من السريانية ، وكانت مشهورة في قديم الزمان .

(٢) البطائح — مفردها البطيحة — مجتمع سيب المياه. يقال تبطحت المياه إذا سالت واتسعت في الارض . وفي جنوبي العراق بطائح كثيرة يرجع سبب وجودها إلى ان دجلة انبثقت في أيام قباذ بن فيروز بثقا عظيما بالقرب من كسكر فأغفل أمرها حتى غلب ماؤها وغرقت القرى العامرة التي كانت بقربه وبجواره فتكونت بطائح من « واسط » الى ظهر « البصرة » ولما كان ايام انوشروان العادل زحم الماء بالمسنيات فعادت تلك الارضون إلى حالها القديم ، فلما كانت أيام ابنه ابرويز ارتفع الماء عام ٧ للهجرة في دجلة والفرات ارتفاعاً عظيما ، وانبثقت بثوق كبيرة لم تقو جهود الملك على درء خطرها ولما جاء المسلمون انشغلوا بالحروب وكانت البثوق تنفجر ولم يلتفت إليها حتى إذا كانت أيام الحجاج كثرت البطائح واستفحل أمرها ففوض امر سدها إلى مسلمة بن عبد الملك بعد أن أقطعه إياها ولكن أمرها بقي مستفحلا إلى هذا الزمن فإذا ارتفع الماء في دجلة والفرات عادت البطائح إلى ما كانت عليه في أيام الفرس وفي صدر الاسلام .

اما ان هذا الشعب قد انحدر من الصابئة الذين ذكرهم الفرقان المبين ، أو انه من بقايا الحرانيين الذين انتحلوا ديانة الصابئة في أيام المأمون العباسي في عام ٢١٨ هـ(٨٣٣م) ليتحاموا مع تعقيباته الدينية فأمر مشكوك فيه ، وموكول الى فحص التاريخ الدقيق

قال « المسعودي » المؤرخ المشهور المتوفى عام ٣٤٥ هـ (٩٥٦م) في أثناء بحثه عن ملوك الفرس ومجمل أخبارهم وسيرهم ما نصه :

« ثم ملك بعده طهمورث بن نوبجهان بن أرفخشد بن اوشهنج ، وكان ينزل سابور ، وظهر في سنة من ملكه رجل يقال له بوداسف أحدث مذهب الصابئة وقيل فيهم : ان معالي الشرف الكامل والصلاح الشامل ومعدن الحيـاة في هذا السقف المرفوع : وان الكواكب هي المدبرات والواردات والصادرات ، وهي التي في بروزها من افلاكها ، وقطعها مسافاتها ، واتصالها بنقطة وانفصالها عن نقطة ، سبب ما يكون في العالم من الآثار ، من امتداد الأعمار وقصرها وتركيب البسائط وانبساط المركبات ، وتتميم الصور وظهور المياه ، وغيضها ، وفي النجوم السيارة وفي أفلاكها التدبير الأعظم ، وغير ذلك مما يخرج وصفه عن حد الاختصار والايجاز ، فاجتذب جماعة من ذوي الضعف في الآراء فيقال ان هذا الرجل أول من أظهر مذهب الصابية من الحرانيين والكميرانيين . وهذا النوع من الصابية مباينون للحرانيين في نحلتهم ، وديارهم بين بلاد واسط والبصرة من أرض العراق نحو البطائح والآجام فكان ملك طهمورث الى أن هلك ثلاثين سنة وقيل غير ذلك[1] »

وقال (ابن القفطي) المتوفى عام ٦٤٦ هـ (١٢٤٨م)

(فإن ابا حنيفة وصاحبيه ؟ ابا يوسف ومحمد ، اختلفوا في نكاح الصابئة وأكل ذبائحهم ، فحرمها ابو حنيفة واحلها صاحباه فقال أصحابهم انه ليس بخلاف على الحقيقة

(١) مروج الذهب (٢/١١١-١١٢) باريس ١٨٦٣ .

وانما هو خلاف في الفتوى لأن أبا حنيفة سئل عن الصابئين الحرانيين ، وهم معروفون بعبادة الكواكب ،فأجراهم مجرى عبدة الأوثان في تحريم المناكحة والذباحة ،وصاحباه سئلا عن الصابئين السكان بالبطيحة ، وهم فرقة من النصارى يؤمنون بالمسيح (ع) فأجابا بجواز ذبائحهم ومناكحتهم . ولو سئل أبو حنيفة عن هؤلاء لأفتى بفتوى صاحبيه ، ولو سئل صاحباه عن الفرقة التي عنا لافتيا بمثل قوله »[١]

فالذي يظهر من قولي (المسعودي) و (ابن القفطي) أنه لا علاقة بين (صابئة البطائح) في العراق ، وبين (صابئة حران) على الرغم من اشتراك القومين في الاسم ، وعلينا الآن أن نبحث عن منشأ الصابئة المنتشرين في السواحل الايرانية وفي جنوب العراق

قال تيودور برقوني ، الذي عاش في الجيل السابع للميلاد ، عند ظهور الاسلام في كتابه (الاسكوليون) وهو تفسير للكتاب المقدس : طبعه السيد أدي شير بلغته الآرامية في مجلدين في باريس (١٩٠٨— ١٩١٢) ما تعريبه :

(يروى أن رجلا يدعى آدو ضعن وعائلته من حدياب إلى ميسان للتسوّل . وكان أبوه يسمى دبدا ، وأمه أم كشطا .. وعند وصولهم إلى نهر كارون صادفوا رجلا يدعى بابابن تينيس فطلبوا منه صدقة ، على جاري عادتهم ؛ وأقنعوه بإبقاء آدو في خدمته ، و كان آدو — هذا — مريضاً كسولا لا يستطيع التسول ؛ فأرسله بابا إلى حراس بساتين النخيل لتشغيله ، ولكن هؤلاء رفضوا قبوله لعدم صلاحه للعمل ، فاضطر أن يبني له كوخاً على قارعة الطريق ليستدر أكف المحسنين من المستطرقين ، فانضم اليه أصحاب كثيرون ، وصاروا يدقون الاجراس على عادة المتسولين . ويدعى هؤلاء في منطقة ميسان المندائية ، وهم شيعة من تلك التي أتت

---

(١) كتاب « تاريخ الحكماء » لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف المعروف بابن القفطي (لايبسيك ١٣٢٠) ص٣١١

أعمالا صالحة في منطقة بيت أرامابي ويسمون الناصريين أو أتباع الدستانية . الا أن أحسن اسم ينطبق عليهم الآدونيين الذين أخذوا تعاليمهم الدينية عن المرقيونيين ، والمانويين ، والكنتيين ، وغيرها من الفرق الصابئية) ثم توسعت هذه الطائفة على مر السنين وسموا بالصابئة،أي المغتسلة ، لأن جميع طقوسهم الدينية لا تتم الابالاغتسال في الماء الجاري [1]

وكتب الينا المستشرق الألماني المعروف (الدكتور ه. ريتر) رسالة خاصة في ٢١ كانون الأول ١٩٣١ م جاء فيها :

(أما الصابئة فالمشهور عندنا أن لا مناسبة أصلا بين صابئة العراق وصابئة حران على رغم اشتراك الطائفتين بالاسم . ومعلوم ان هذا الاسم اتخذوه أصحاب الأديان الغير ذمية من القرآن ليتحاموا به عن التعقيبات الدينية . فصابئة دجلة هم طائفة من اليهود تبرأوا من اليهودية وتبعوا يوحنا المعمدان ثم لما رأوا ان أتباع عيسى غلبوا على أتباع المعمدان ، هاجروا من الاردن الى نهر آخر يجري من الشمال الى الجنوب وهو دجلة . ودين الحرانيين هو من بقايا دور اختلاط الذي كان يغلب على الممالك الرومانية قبل الميلاد وبعده حتى غلبت عليها النصرانية . ويوجد بعض اخبارهم في رسائل اخوان الصفا وفي غاية الحكيم المنسوب الى أبي سلمة المجريطي ، وخاصة في كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم للفخر الرازي الذي لم يطبع إلى الآن [2]) اه

أما رواية (الصابئة المندائية) عن كيفية انتقالهم من الأردن إلى العراق فتتلخص في هذه الاقصوصة :

(بعد أن خرج يحيى من الأرض خلف لهم ثلاث مئة وستة وستين تلميذاً بين أساقف و كهنة ، ولبثت شيعته كلها مقيمة ببيت المقدس ، وابتنوا لهم كنيسة بجانب

---

1 - H. Pognon Inscription Mandaites des coupes de khoubeir P. 224 " Paris 1898 „

(٢) لدينا نسخة من كتاب « السر المكتوم في أسرار النجوم »

هيكل اليهود . وكان لألعازار زعيم اليهود، بنت يقال لها ماريا، وكانت شديدة الورع فكانت تختلف كل يوم إلى الهيكل، فاتفق يوماً انها سهت عن باب الهيكل فدخلت الكنيسة؛ وكان الصابئة يقيمون صلاتهم فلم تشعر إلا وهي في وسط الكنيسة فلبثت في مكانها حتى فرغوا من الصلاة فأعجبها ما رأت عندهم، ومالت إلى الدخول في مذهبهم. ومنذ ذلك اليوم جعلت تتردد على نساء أساقفتهم وكهنتهم تتلقن عقائدهم حتى اشربت دينهم، وواظبت على حضور صلواتهم كل يوم أحد، ونزعت ملابسها وحليها ولبست البياض، على ما هي سنة المتقين منهم، فأنكرت ذلك أمها عليها فأعلمتها أنها قد اتبعت دين الصابئة، فنهتها فلم تنته، فأعلمت أباها بالأمر، فزجرها وتهددها فلم يغن، وآخر الأمر ذهب العازار فجمع رؤساء اليهود وتآمروا على قطع دابر الصابئة، ثم أغروا العامة بذلك فوثبوا عليهم وقتلوهم؛ ولم ينج منهم إلا نفر قليل تمكنوا من الفرار، حينئذ هبط آنوش أثرا بشكل باز وضرب اليهود بجناحيه فألقاهم في النهر. ثم ضرب الماء فهاج وأزبد وغمرتهم أمواجه فهلكوا عن آخرهم . وبعد ذلك جمع بقايا الصابئة ودمر بيت المقدس ثم أخرجهم إلى بلد آخر فأسكنهم فيه، واختار من بينهم رجلين أخوين يقال لأكبرهما فرّوخ ملكا، وللآخر آوردوت ملكا فقلدهما رئاستهم؛ وولاهما الدفاع عنهم. ثم انقلب عائداً إلى عالم الأنوار . وبعد أن أتى على ذلك ما شاء الله، تكاثر عدد الصابئة واليهود جداً. وفي ذلك الزمن ظهر موسى، نبي اليهود؛ فعزم على أن ينتقم لمن هلك منهم على يد آنوش أثرا، وكان في نفس فروخ ملكا مثل ذلك من طلب ثأر الصابئة الذين قتلهم العازار لكن جاءت رسالة من أواثار ينهاه عن قتال موسى، ويأمره أن يهاجر إلى بلد آخر يقيم فيه بجماعته فأعرض عن طاعته؛ وأصر على طلب الحرب. ولما تصاف الجيشان، خرج موسى وفروخ ملكا فتبارزا وطال بينهما الكر والفر، وأخيراً أسفر الأمر عن هزيمة موسى وكان البحر قريباً منهم فاقتحمه موسى فانشق أمامه، فعبر إلى وسط البحر ووقف

هناك حتى عبر جيشه كله ؛ وعبر هو آخرهم ، وتبعهم فروخ ملكا بجماعته فأطبق البحر عليهم فهلكوا بأجمعهم ، ولم ينج إلا فروخ ملكا وأخوه وثلاثون نفساً من الصابئة من رجال ونساء كانوا قد ادركوا البر في وقت خروج موسى فانثنى موسى اليهم ليأتي عليهم ، فانهزموا من وجهه ، وما زالوا في هزيمتهم تلك حتى لحقوا بششتر من أرض فارس)[1]

هذه هي نهاية المعلومات التي جمعناها عن (الصابئة قديماً وحديثاً) وعن فرقهم ومنشأ ديانتهم من وجهة تاريخية بحتة ، أما ما سندخل فيه بعد قليل ، فهو البحث في عقائدهم وطقوسهم الدينية

وربما كان في دراسة العقائد والطقوس — علَى ما هي عليه من التقطع والخبط والخلط — كثير من الفوائد التاريخية ، وما بأيدينا من المعتقدات انما هو مجموع ما يتدين به صابئة البطائح اليوم ، وقد علمنا أن في طقوس هؤلاء وآدابهم الدينية جملة من شعائر الصابئة الأقدمين ، ومع ذلك فسنضطر في بحثنا هذا الى ذكر بعض ما توصلنا اليه من عقائد (الصابئة الحرانية) التي نرى ان هناك فروقاً جوهرية تستدعي إفرادها بالذكر ، وتعيينها من بين مواضيع البحث

اما مصادر ما سنذكره فتنحصر في التحريات الشخصية ، والمشاهدات العينية ؛ والنقل عن ما دبجته اقلام بعض الكتاب والمؤرخين والمؤلفين ، وكله مما تطمئن اليه النفوس اطمئناناً دون ان نعض عليه بضرس اليقين القاطع ، لما بين تلك المباحث ولآراء من التباين الظاهر وكفى ان يكون ما نكتبه في الموضوع خدمة تاريخية بذلنا فيها الجهد ، وأفرغنا فيها الوسع ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

---

(١) مجلة البيان « القاهرة ١٨٩٧ » ص ٢٩٢ — ٢٩٣

معتقدات الصابئة المندائية

الخالق جلّ شأنه

تعتقد الصابئة «المندائية» أن الخالق واحد أزلي أبدي، لا أول لوجوده ولا نهاية له، منزّه عن عالم المادة والطبيعة، لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق؛ وانه لم يلد ولم يولد، وهو علة وجود الأشياء ومكوّنها.

ولا يختلف اعتقادهم في الخالق هذا عن اعتقاد المسلمين فيه.

ويلي الإله في المنزلة (٣٦٠) شخصاً[1] خلقوا ليفعلوا أفعال الإله إلا أنهم ليسوا بآلهة؛ ولا هم في عداد القديسين، لأنهم لم يكونوا بشراً مثلهم، ولا يعدون من الملائكة وإن كانوا صنفاً منهم، لأن بعض هؤلاء يمارس أعمال الخلق كـ «مساري أدربوثا» و«هيبل زيوا» وهم يعلمون كل شيء، ويعرفون الغيب، ولكل منهم مملكة في عالم الأنوار «آلمي دنهورا» أما أصل وجودهم فإنهم ليسوا بمخلوقين – كبقية الكائنات الحية – ولكن الله ناداهم بأسمائهم فخلقوا، وتزوجوا بنساء من صنفهم، وأصبح لهم أولاد وبنات، ولكن نسلهم هذا ليس ثمرة زواجهم، لأن الواحد منهم كان يلفظ كلمة فتحمل امرأته فوراً وتضع واحداً منهم.

إن هؤلاء الـ ٣٦٠ شخصاً يعبدون الإله ويوحدونه، وجميعهم تحت إمرة (ماري

---

(١) يرى الكنزبرا الشيخ دخيل الشيخ عبدان الصابي، إن عدد الذين يلون الآله في المنزلة لا يعدّ ولا يحصى وانه ليس بـ (٣٦٠) شخصاً كما يقول زملاؤه

أدربوثا) الذي هو أول زعمائهم وأعلاهم مقاماً[١] ويليه (شيشلام ربا) و(منداد في) و (وهيبل زيوا) و (سام زيوا) و (هو مشبّه) صاحب يوم الأحد و (سيمات هي) و(ماهزيل مالالا) والأخيران من النساء ، وثانيهما اسم الشجرة التي ترضع الأطفال في عالم الفردوس (آلمي دنهورا)ومنهم أيضاً (أوثار راما) و(ابتاهيل زهريل) و(يحيي يوحنا) و(بهرام ربا)

وهم يعتقدون بالأرواح الخبيثة ويسمونها (مولوخون) ويقولون انها مختلفة الأديان ، فمنها صابئة ، ومنها يهود ونصارى ومسلمون ، ومن هذه الأرواح ما هو موكل بعذاب النفوس في (المطراثي) ومنها ما هو مغرى بتجربة البشر واستدراجهم إلى المعصية ، ومنها ما دأبه إلحاق الأذى بالناس ، فهم بمنزلة الجن عند غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى .

بدء الخليقة

كان المخلوق الأول لله شخصاً روحانياً يدعى «هيي قدمايي» أي الحي القديم ، وقد خلقه الله وخلق معه عوالم كثيرة مملوءة بالنفوس المقدسة التي لا تحصى . ثم خلق الحي الثاني «هيي ثنيائي» أي المخلوق الثاني ، وخلق معه كذلك عوالم لا تعد مملوءة بالنفوس المقدسة أيضاً . ثم خلق « هيي إثليثائي » أي المخلوق الثالث ، وخلق معه ما خلق مع سابقيه ؛ وهذه النفوس التي تقطن هذه العوالم ينقسمون بين قسمين حسب رتبهم : عوام

---

(١) ترى الصابئة ان المخلوق الأعظم « ماري أدربوثا » أراد أن يرسل هدية ذات يوم إلى أوثار وفتاحيل فندب «شيشلام ربا» للقيام بهذه المهمة ولكن الشخص المنتدب رفض القيام بهذه المهمة فغضب «ماري أدربوثا» عليه وعاقبه بأن أيبس كل ما في مملكته من شجر وبقل ، وغيض مافيها من مياه ، وأهلك جميع أفراد أسرته . فتوجه «شيشلام ربا» إلى الملأ الأعلى من وصفائه ليشفعوا له عند «ماري أدربوثا» ليصفح عنه فلما كلمه هؤلاء في موضوعه قص عليهم ما كان من أمر المعصية فأخذوا يسكنون من غيظه حتى أذن لهم أن يمثل بين يديه فلما أدخل عليه ، خر على قدميه وعفا عنه . أي أنه أحيي زوجته وبنيه ، وأعاد نباته إلى خضرته ، والماء إلى مملكته .

وملوك ويسمى القسم الأول «أثوي» والثاني (ملكي) ثم خلقت سبعة عوالم تدعى (آلمي دهشوخا) أي عوالم الظلام التي تستمد نورها من الشمس، وسكانها الآن ينقسمون بين قسمين أيضاً عوام (أثوي)، وملوك (ملكي) وأرضنا من جملة هذه العوالم السبعة.

أما هيئة الأرض فهي عندهم مدوّرة؛ ثابتة غير متحركة، ولكن لها حركة خاصة؛ وهي مقامة على هواءين: هواء خارجي وآخر داخلي وتحت الأرض ماء انبسطت عليه. فلما أتم خلق الأرض أنزلت الملائكة من عالم الأنوار (آلمي دنهورا) بذوراً للأشجار؛ وفتحت طريقاً للهواء وللماء الحياة الذي تقوم عليه حياة الأجسام النامية والحية، وهو واسطة ارتباط العوالم بعضها ببعض، وفتحت طريقاً آخر للنور تستمد منه الشمس أشعتها لتنير بقية الكواكب بالواسطة

وتتكون السماء من سبع طبقات، تقع الشمس في الطبقة الرابعة، والقمر في السابعة؛ والأرض والسماء مركبتان من مادتين: هما الماء والنار، ومن هاتين المادتين تكونت الأرض والسماء، وكذلك جميع المخلوقات الحية فإنها مركبة من طبقتين: هما الماء والنار ولكنها تمتاز بأربع طبائع أخرى وهي الصفراء والسوداء والبلغم والرطوبة

خلقة آدم

(كفره قدمايا) اسم لآدم عليه السلام، أي أول الرجال، أو آدم بغره أي آدم المادّي، وقد أراد الله أن يخلق آدم على صورته فأنزل (إبتاهيل) وهو ابن (هيبل زيوا) أي جبرائيل إلى الأرض فخلقه تشبيها على صورته من التراب، وخلق من ضلعه الأيسر زوجته حواء، ثم أنزل الروح القدس في جسمي آدم وحواء، وعلم الملائكةُ آدمَ كل ما في الدنيا من صنائع وحرف ومهن واجراء المياه، ووضع عدد السنين والأشهر والأيام والأوقات وغير ذلك؛ وأنزلت عليه الكتب المقدسة التي فيها فروض العبادة بأنواعها المختلفة، ثم أمر الله ملائكة النار بالسجود لآدم فسجدوا إلا هادبيشه (وهو إبليس)

فإنه لم يسجد إذ قال: (خلقني الله من نار، وخلق آدم من تراب؛ فكيف أسجد له؟) فلعنه الله وطرده من الجنة ثم جرى التناسل بين آدم وولده على ماهو مسطور في موضع آخر

الكون في نظر الصابئة

لنشوء فكرة السر والعلن عند الصابئة أثر كبير في كثير من المعتقدات، فهم يرون أن لكل كائن وجودين: علني وسري، وللكون أيضاً وجودان: كون سري يسمونه «مشوني كشطة» وكون علني يسمونه (أره تيبل) أي الأرض التي تبلى؛



علماء الصابئة المندائية وشيوخهم البارزون

ويرون دائماً أن للوجود السري امتيازاً على الوجود العلني. فالعالم السري قطر فسيح أكبر من العالم العلني؛ الذي هو عالمنا المسكون، وهو مستور عنا لا يمكننا أن نشاهده حال حياتنا، وله شرف المنزلة بالقياس إلى عالمنا، فهو منه بمنزلة اليمين من الشمال وهذا الاعتبار، أي من اليمين إلى الشمال؛ يشاهد في كثير من تعابيرهم التي يقسمون بها الاشياء والموجودات

أما سكان هذا العالم فهم بشر مثلنا، إلا أنهم صابئة منزهون عن كل وصمة، ولا يخلو هذا العالم من الموت والفناء أيضاً، فالبشر الذي فيه يموت كما نموت نحن، إلا أنه

ينتقل إلى عالم آخر يسمونه «آلمي دنهورا» أي عالم الأنوار أو دار السعادة أو المقام النعيم، من غير أن يمر بموضع من مواضع العذاب، وهـذا ما يقابل عالم الأرواح عند المسلمين، أما العالم الثاني «أره تيبل» فهو عالم الكون المادي المشاهد، الذي يطرأ عليه الفناء، وينتقل من فيه إلى عالم الأنوار بحسب درجته.

ولما كان الوجود السري مثلا للوجود العلني؛ كان في العالم السري آدم مخصوص يدعى «كاسيا» أي آدم المستور، وتدعى زوجته «كانات» أي تامة الجمال. كما أن لعالمنا هـذا آدم يدعى «آدم بغره» أي آدم المادي، وتسمى زوجته حواء.

ولكي يتخلص الصابئة من قضية الزواج بين الأخوة في بدء الخليقة، اضطروا إلى القول بـأن لكل من هذين الآدمين ابنة وولد، فجمع بينهما (هيبل زيوا) وهو جبرائيل، في العالم المنظور، وزوّج كلا من الولدين بأخت الآخر، ليتم التناسل البشري على طريقة مشروعة، والصابئة تدعي — وفقاً لهذه الأسطورة — أنهم من أولاد آدم غير المنظور، وابنة آدم المنظور

حديث الطوفان

إن حديث الطوفان عند الصابئة قريب كل القرب مما يروى في التوراة، حتى في إطلاق الغراب والحمامة، إلا أنهم يقولون ان الحيوانات التي استصحبها نوح في الفلك الذي بناه كانت كلها اثنين اثنين ذكراً وأنثى، من كل نوع، وإن الذين كانوا معه في هذا الفلك من البشر ثلاثة فقط وهم: امرأة نوح وابنه سام وزوجته. إذ لم يكن له قبل الطوفان ولد آخر وان نوحا عليه السلام لما انحسر الماء نزل إلى اليابسة وحده يتمشى، فإذا بامرأة من الجن تراءت له بشكل امرأته، وأخذت تتمشى بجانبه، فأنكر نوح خروجها من السفينة دون إذن منه، فقالت له انها سئمت المقام في الفلك ولما رأته خارجا إلى اليابسة، خرجت مثله. ثم أنكر عليها اكتحالها وإرسالها شعرها، فردت عليه

(إن لنا زمانا ونحن محبوسون في هذا الفلك وحدنا فلم أبال بضفر شعري، وأما اكتحالي فلست أظن أن سكان عالم الأنوار — بعد هذا الامتحان الطويل — يناقشوننا في مثل هذا الأمر الطفيف) ثم دنت منه وأخذت تغازله حتى استدرجته إلى المعصية ، ظنا منه انها زوجته، فوافاه صوت من (أواثار) يؤنبه على ما فعل ،فعاد إلى الفلك فوراً وأخرج كل من كان فيه . وحملت الامرأة التي خدعته ، ووضعت له ثلاثة بنين وهم : حام ويافث ويامين ، وكان كل منهم يتكلم بلغة تخالف لغة الآخر ، ومن هؤلاء الثلاثة جاء السودانيون، والفرنجة ،والترك . ولهذا فإن الصابئة لا يذكرون نوحا، ولا أحداً من أبنائه (حام ويافث ويامين) فيمن يستغيثون به من آبائهم الأولين لأن (أواثار) كان قد عاقب نوحا على أن يبقى مرتهنا في (المطراثي) إلى أن ينقضي العالم ، ولأن أولاده الثلاثة المذكورين إنما كانوا أبناء غيّه ، ولكنهم يقرون بولده سام الذي كان معه في الفلك ويكرمونه أحسن تكريم (١) .

عمر الدنيا

هذا بحث عن (عمر الدنيا) وما مضى عليهامن أزمات ، وهو ما أخبر به الإله جل شأنه

---

(١) هذا ما جاء في الاصحاحين السابع والثامن من سفر التكوين من التوراة عن الطوفان : « وقال الرب لنوح أدخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك لأني إياك رأيت باراً لدي في هذا الجيل. من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وأنثى ، ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى لاستبقاء نسل على وجه الأرض لأني بعد سبعة أيام أيضاً أمطر على الارض أربعين يوماوأربعين ليلة وأمحو عن وجه الارض كل قائم عملته. ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب . . . وحدث بعد السبعة الايام أن مياه الطوفان صارت على الارض . . . في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك و كل الوحوش . . . وكان الطوفان أربعين يوماً على الارض وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الارض . . فمات كل ذي جسد كان يدب على الارض . . . وجفت الارض و كلم الله نوحا قائلا أخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك و كل الحيوانات . . أخرجها معك ولتتوالد في الارض وتثمر وتكثر على الارض » انتهى المقصود

آدم عليه السلام ، ونقله هذا إلى تلامذته . عربه العالم الصابئي الشهير الشيخ دخيل ابن الشيخ عيدان عن كتابهم الرئيس (الكنزاربا) فنشرناه بحروفه حرصا على ما فيه من معلومات طريفة :

« بعث الله آدم وزوجته حواء فتناسلا و كثر نسلهما في العالم ، ثم انقطع النسل بسبب الحروب والوفاة ، ولم ينج من الهلاك إلا رجل واحد يدعى « رام » وتدعى زوجته « رود » و كان ذلك بعد مرور :

٢١٦٠٠٠ مائتين وست عشرة الف سنة منذ ظهور آدم إلى عالم الدنيا حتى زمن « رام » وزوجته « رود » ومن رام وزوجته هذه انتشر خلق كثير ، غير أن النار التي شبت في أقطار العالم بعدئذ أدت إلى حرق الكثير من البشر ولكن رجلا واحداً يدعى (شربا) وزوجته المسماة (شرهبيل) نجيا من الموت .

١٥٠٠٠٠ وامتد التناسل بين أولاد رام مئة وخمسين الف سنة أخرى

١٠٠٠٠٠ وعاش أبناء (شربا) و (شرهبيل) في الدنيا مع أولادهم مئة الف سنة

٤٦٦٠٠٠ ولما جاء الطوفان كان عمر الدنيا منذ الخليقة قد بلغ اربع مئة وست وستين الف سنة . فبنى نوح الفلك ونجا من الغرق ؛ هو وزوجته وولده سام ، وبقيت الدنيا في منجى من الاضمحلال طوال هذه المدة

ولنذكر الملوك الذين ملكوا الدنيا بعد الطوفان بالتسلسل :

٩٠٠ فأول ملك ظهر بعد الطوفان كان (أردوان كريموط ملكا) فحكم تسع مئة سنة

٦٠٠ وملك بعده (زرونيطا لرهموط) فدام ملكه ست مئة سنة

٥٥٠ ثم جاء بعده الملك (ليفوروش زهناك) فملك خمس مئة وخمسين سنة

١٠٠ وانحلت الامور مئة سنة أخرى فلم يحكم خلالها حاكم ما

٣٠٠ ثم قام الملك (أزداك بن أسباك بهران) فحكم ثلاث مئة سنة

٤٥٠ وجاء بعده (فريدون بن تبديان) فملك أربع مئة وخمسين سنة

٥٠٠ ثم صار الحكم إلى (بشم بريمان) من اسرة (كر كوم) فحكم خمس مئة سنة

وهذه الحكومات التي قامت بعد الطوفان إلى نهاية أيام (بشم بريمان) تسمى حكومات الفراعنة من المصريين الاقباط فيكون مجموع مدة حكم الفراعنة ثلاثة آلاف واربع مئة سنة وبذلك يصبح

٤٦٩٤٠٠ مجموع عمر الدنيا منذ الخليقة إلى تاريخ إنقراض الفراعنة أربع مئة وتسع وستين الف وأربع مئة سنة

٦٠ وانتقل الحكم من الفراعنة إلى الفرس فملك (طروق) ستين عاما .

٥٠٣ وملك بعده (فيقاس) خمس مئة وثلاث سنوات

٦٠ ثم جاء (كيكسرو بن سيوخان) فملك ستين سنة

٣٠٠ ثم حكم (إيكاب بن برزيم) فكانت مدة حكمه ثلاث مئة سنة

٣٦٥ وقام بعده (أرهسف) فحكم ثلاث مئة وخمس وستين سنة

١٤ ثم انتقل الملك إلى ولده (كشطاسف) فكانت مدة حكمه أربع عشرة سنة

١١٢ وقام (أزدشير بن إسفنديار) بعده فملك مئة واثنتا عشرة سنة

٨٠ ثم جاء نوربطاش بن هورزدان فحكم ثمانين عاماً

٤٧٠ ثم حكم (أشقان) فكانت مدة حكمه اربع مئة وسبعين سنة

فيكون مجموع مدة حكم الفرس الاولى الف وتسع مئة واربعة وستون عاماً

٤٧١٣٦٤ ويكون مجموع عمر الدنيا إلى أواخر أيام حكم الفرس الاولى أربع مئة وإحدى وسبعين الف وثلاث مئة وأربع وستون سنة

٩٠٠ وبعد انقراض دولة الفرس الاولى حكم اليهود تسع مئة سنة

١٤ ثم قامت حكومة بابل وكان حكم أول ملوكها (أبروق سندر روهمايي) أربع عشرة سنة

٤٦٥ وحكم بعده (أشقان) أربع مئة سنة وخمس وستين

١٤ ثم حكم (ويسديس وطبيان) ثم أردوان أربع عشرة سنة

فتكون مدة حكم البابليين أربع مئة وثلاث وتسعون سنة

٤٧٢٧٥٧ ويكون عمر الدنيا منذ بدء الخليقة إلى نهاية حكم البابليين ٤٧٢٧٥٧ عاماً

٣٨٢ وتولى الفرس الحكم مرة ثانية فحكموا ثلاث مئة واثنتان وثمانين سنة

١٣٧٤ ثم ظهر الاسلام فحكم حتى الآن الف وثلاث مئة وأربع وسبعين سنة

٤٧٤٥١٣ وبذلك يكون عمر الدنيا منذ بدء الخليقة حتى الآن ٤٧٤٥١٣ عاماً

وسيبقى العالم على شكله القائم ٢٦٥٥ عاماً حتى يظهر المسيح المرتقب، وهو غير المسيح الاول الذي جاء إلى الدنيا بمظهر جسماني فتتبدل العادات، وينبذ السلاح، وتمحى الديانات: اليهودية والنصرانية والاسلامية، ويكون العالم على دين واحد، وتستمر الحالة على هذا المنوال ستين الف سنة، ثم يرجع الامر إلى شريعة آدم السابقة، ومنه إلى (هيبل زيوا) فيبقى تحت حكمه خمسين الف سنة ثم يصير إلى امامات ويستمر مئة وسبعين سنة ثم تفنى الارض لتعود إلى عالم الانوار. أي بقي من عمرها ١١٢٨٢٥ سنة

فكرة الخير والشر

(فكرة الخير والشر) من الفكر التي بحث البشر فيها بحثاً مستفيضاً في الازمنة القديمة والحديثة، وما زالت الآثار المستخرجة من بطون الارض تروينا تطور هذه الفكرة واختلاف نظر البشر إليها. إلا أن هذه الاختلافات والتطورات تنحصر في وجهات ثلاث:

أحدها يقول إن الله تعالى مكوّن الخير والشر ، كما انه خالق لهما ، وما العبد إلا آلة تصرّفها الإرادة في الكلية، لا حول له ولا قوة ولا اختيار

(وإن تُصِبْهُمْ حسنةٌ يقولوا هذه مِن عِنْدِ الله وإن تُصِبْهُمْ سيئةٌ يقولوا هذه مِن عِنْدِك قُلْ كُلٌّ مِن عِنْدِ الله)[1]

وهذا ما دعاه المسلمون بفكرة الجبر

والثانية : ترى أن فاعل الخير والشر هو الانسان ، وأن الله جل شأنه مكوّن الأشياء كلها ، والعبد يملك إرادة جزئية واختياراً مطلقاً

«إنا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً»[2]

أما الثالثة : فتفصّل وترى أن الخير من الله، والشر من الانسان ، وللانسان عقل يميز بينهما فله أن يعمل الخير ، وله أن يرتكب الشر

«ما أصابك مِن حسنةٍ فمِن الله وما أصابك من سيئةٍ فمِن نفسك»[3]

والصابئة ترى رأي الفريق الثاني ، اي أن الخير والشر موجودان من قبل الانسان وحادثان بفعله، وإن إرادته الجزئية واختياره المطلق هو الذي يجعله مسؤولا امام الله ، وهم يرون أن الله جل شأنه رسم للانسان طريق الخير وطريق الشر فله الحرية المطلقة في إتيان مايشاء، وترك ما يشاء .

اعتقادهم في الجدي

ليس للصابئة المندائية اعتقاد خاص بالجدي، غير أنهم يقولون انه: لما كانت وظائف النجوم السيارة السبع[4] حراسة الأقاليم السبعة ، وتنوير أفكار الساكنين فيها ،

---

(١) سورة النساء : الآية ٧٨ (٢) سورة الدهر : الآية ٣

(٣) سورة النساء :الآية ٧٩

(٤) وهي : عطارد والزهرة وزحل والمريخ والسنبلة والعقرب والميزان

ودفع النحس عنها، وجلب الخير اليها، فإن النجم المو كل على آسيا «موطن الصابئة» هو المريخ «ويسمونه تبرغ» أما الجدي فهو محل القياس لأنه ثابت في محله لا يتحرك ولأنه متوجه دائما إلى ملك الانوار ، وبذلك يكون اتجاه الصابئة إلى الله الواحد الأحد . وهم لايتممون سنة من سننهم، ولا عملا دينيا من أعمالهم، إلا ويتجهون إلا هذا النجم

اعتقاد طريف

يعتقد الصابئة أن الروحاني الكبير (هيبل زيوا) كان قد ولى الروحاني الكبير الآخر (فتاحيل) على (المطراثي) (١) فرأى هذا المتولي أن أهل الارض قد كثروا كثرة تلفت النظر ؛ فأنزل بهم الاوبئة لينقص من عددهم فازداد عدد الوافدين إلى (الجحيم) بطبيعة الحال. وكان (هيبل زيوا) قد سدّ المنفذ الذي يفضي من هناك إلى عالم الانوار (آلمي دنهورا) فتضايق (الجحيم) بالوافدين ، وانطلق (فتاحيل) إلى (هيبل زيوا) وسأله إطلاق الانفس التي استوفت عذابها ، للترفيه عن الجحيم المزدحم ؛ فأبى (هيبل زيوا) وقال: ما كنت لأدخل دار النعيم نفسا قد تدنّست بالإثم

وكان سكان عالم الانوار يتوقعون أن تمتلىء دنياهم بالخلائق من الصالحين التائبين ولما علموا أن (هيبل زيوا) يتشدد في تخليص المذنبين، انطلقوا إلى (ماري أدربوثا) وسألوه التسامح في أمر أولئك الوافدين على الجحيم ، لأن التشدد سيحول دون خروج أحد منهم ، فاستدعى (ماري أدربوثا) (هيبل زيوا) وفاوضه في هذا الموضوع مليا ، ولما رآه متشدداً طلب اليه أن يعود إلى تدبير مملكته في عالم الانوار ونصب (أواثار) والياً على (المطراثي) فاستطاع (أواثار) في مدة وجيزة أن يفتح منفذاً في المطراثي يسّر خروج خلق كثير التحقوا بعالم الانوار .

---

(١) يعتقد الصابئة ان بين الجنة والنار شيئاً ثالثاً يسمونه «المطراثي» ، أي المطهر وفي هذا المحل تعذب الأرواح التي ارتكبت ذنوبا بسيطة ، ويكون عذابها لأمد محدود، ثم تنتقل إلى مواضعها في عالم الانوار الذي يسمونه « آلمي دنهورا »

نبي الصابئة

يحيى بن زكريا عليه السلام

يعتقد الصابئون «المندائيون» أنهم « يتبعون تعاليم آدم ، ولديهم كتاب الكنزا – أي صحف آدم – غير أن تقادم العهد على الرسول الأول للدين ، ونشوء بعض المذاهب الزائفة والأديان الوثنية، كل هذه أدخلت تعاليم غريبة في الدين، فجاء يحيى ليخلص الدين من هذه المذاهب الدخيلة ، ولم يكن رسولا ، بل نبيا خاصاً بهم »(١) فمن هو يحيى يا ترى ؟

كان حمل زوجة زكريا ، ويقول أهل الكتاب أن اسمها (حنة) في الزمن الذي كانت مريم حاملا فيه بعيسى، وولد يحيى ، وليس لدينا ولا لدى أهل الكتاب شأن عن طفولته غير أنهم يقولون أنه كان يأوى إلى البرية ، ويأكل جراداً وعسلا بريا.

وكان يحيى بارعاً في الشريعة الموسوية ؛ ومرجعا مهماً لكل من يستفتي في أحكامها، وكان أحد حكام فلسطين يقال له هيرودوس ، وكانت له بنت أخ يقال لها هيروديا، بارعة الجمال، أرادها عمها فوافقته هي وأمها ؛ غير أن يحيى لم يرض عن هذا الزواج لأنه محرم ؛ وعرف عنه أنه معارض في ذلك ، فانتهزت أم الفتاة إخراج فتاتها إلى عمها في زينتها ، ورقصت أمامه فسر منها ، وطلب إليها أن تطلب ما تتمناه ليعمله لها ، فطلبت رأس يحيى ، وكانت أمها لقنتها أن تقول كذلك ، فقتل عمها الحاكم يحيى بن زكريا ، فلما بلغ المسيح عيسى بن مريم أن يحيى قد قتل ؛ جهر بدعوته ، وقام في الناس

---

(١) الأستاذ عبد الجبار عبد الله « الصابئي » في هامش كتاب « العراق في القرن السابع عشر » ص ١٠٣ (بغداد ١٩٤٤م)

واعظا [1]

«واليهود يختلفون في مسألة التزوج ببنت الأخ وبنت الأخت فيجيزها القراءون، ويمنعها الربانيون، وحجة الأولين أن بنت الأخت وبنت الأخ لم تذكر حرمتها في التوراة» [2] ولهذا فإن الصابئة لا يزوجون من بنت الأخ ولا من بنت الأخت

يحيى في القرآن الكريم

أما ولادة يحيى فكانت مكرمة من مكارم الأنبياء ، جاء في سورة مريم :

(كهيعص . ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا . إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ، وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا . يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا

---

(١) قال عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود المعروف بأبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ ١٣٣١م «أما يحيى ابنه فإنـــه نبيء صغيراً ، ودعا الناس إلى عبادة الله ، ولبس يحيى الشعر واجتهد في العبادة حتى نحل جسمه ، وكان عيسى بن مريم قد حرم نكاح بنت الأخ ، وكان لهردوس ، وهو الحاكم على بني اسرائيل ، بنت أخ وأراد ان يتزوجها ، حسبما هو جائز في دين اليهود ، فنهاه يحيى عن ذلك ، فطلبت ام البنت من هردوس ان يقتل يحيى فلم يجبها إلى ذلك ، فعاودته وسألته البنت ايضاً والحتا عليه فأجابهما إلى ذلك ، وأمر بيحيى فذبح لديها وكان قتل يحيى قبل رفع المسيح بمدة يسيرة لأن عيسى عليه السلام إنما ابتدأ بالدعوة لما صار له ثلاثون سنة ، ولما امره الله ان يدعو الناس إلى دين النصارى غمسه يحيى في نهر الأردن ، ولعيسى نحو ثلاثين سنة ، وخرج من نهر الأردن ، وابتدأ بالدعوة وجميع ما لبث المسيح بعد ذلك ثلاث سنين فذبح يحيى كان بعد مضي ٣٠ سنة من عمر عيسى ، وقبل رفعه ، وكان رفع عيسى بعد نبوته بثلاث سنين ، والنصارى تسمي يحيى المذكور يوحنا المعمدان لكونه عمد المسيح حسبما ذكر » إ هـ (المختصر في أخبار البشر) م١ ص ٣٤

(٢) عبد الوهاب النجار في « قصص الأنبياء » القاهرة ١٢٥٥ ص ٤٤٠

وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا . قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا . قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا . فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا . وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا)(١)

يحيى في التوراة وفي الانجيل

لم يرد ذكر ما ليحيى بن زكريا في العهد القديم «التوراة» أما في العهد الجديد «الانجيل» فقد جاء في الاصحاح الأول من «إنجيل لوقا» ما نصه :

« كان في أيام هيرودس ، ملك اليهودية ، كاهن اسمه زكريا من فرقة ابيا ، وامرأته من بنات هارون ، واسمها اليصابات ، وكانا كلاهما بارين أمام الله ، سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم ، ولم يكن لهما ولد ، إذ كانت اليصابات عاقراً ، وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما . فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله ، حسب عادة الكهنوت ، أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ، ويبخر وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجاً وقت البخور ، فظهر له ملاك الرب ، واقفا عن يمين مذبح البخور ، فلما رآه زكريا اضطرب ، ووقع عليه خوف ، فقال له الملاك لا تخف يا زكريا ، لأن طلبتك قد سمعت ، وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا ، ويكون لك فرح وابتهاج ؛ وكثيرون سيفرحون بولادته ؛ لأنه يكون عظيماً أمام الرب ، وخمراً ومسكراً لا يشرب ، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس ؛ ويرد كثيراً من بني إسرائيل إلى الرب ، إلاههم ، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ، ليرد قلوب الآباء

(١) سورة مريم : الآيات ١ — ١٥

إلى الأبناء ، والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيء للرب شعباً مستعداً . فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأني أنا شيخ ، وإمرأتي متقدمة في أيامها ، فأجاب الملاك وقال له : أنا جبرائيل الواقف قدام الله ، وأرسلت لأكلمك ، وأبشرك بهذا ، وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته . وكان الشعب منتظرين زكريا ، ومتعجبين من إبطائه في الهيكل ، فلما خرج ، لم يستطع أن يكلمهم ، ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل ، فكان يومئ إليهم وبقي صامتاً ، ولما كملت أيام خدمته ، مضى إلى بيته ، وبعد تلك الأيام ، حبلت اليصابات امرأته ، وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة : هكذا قد فعل بي الرب في الأيام التي فيها نظر إلي لينزع عاري بين الناس ، وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم ، فدخل إليها الملاك وقال : سلام لك أيها المنعم عليها . الرب معك . مباركة أنت في النساء ، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية ، فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم ، لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين إبناً ، وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيماً وابن العلي ، يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولا يكون لملكه نهاية . فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ، فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلي تظللك ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله ، وهوذا اليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً ، لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله ، فقالت مريم هو ذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك ، فمضى من عندها الملاك ، فقامت مريم في تلك الأيام ، وذهبت بسرعة إلى الجبال ، إلى مدينة يهوذا ،

ودخلت بيت زكريا، وسلّمت على اليصابات، فلما سمعت اليصابات سلام مريم، إرتكض الجنين في بطنها، وامتلأت اليصابات من الروح القدس، وصرخت بصوت عظيم، وقالت مباركة أنت في النساء، ومباركة هي ثمرة بطنك فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي فهوذا حين صار صوت سلامك في أذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب.. وأما اليصابات فتمّ زمانها لتلد، فولدت إبناً، وسمع جيرانها، وأقرباؤها؛ ان الرب عظّم رحمته لها، ففرحوا معها وفي اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبي، وسموه باسم أبيه زكريا، فأجابت أمه وقالت لا بل يسمى يوحنا، فقالوا لها ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم، ثم أومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يسمي، فطلب لوحاً، وكتب قائلاً اسمه يوحنا، فتعجب الجميع، وفي الحال انفتح فمه ولسانه، وتكلم، وبارك الله فوقع خوف على كل جيرانهم، وتحدث بهذه الأمور جميعها في كل جبال اليهودية؛ فأودعها جميع السامعين في قلوبهم، قائلين أترى ماذا يكون هذا الصبي وكانت يد الرب معه.. أما الصبي فكان ينمو ويتقوى بالروح، وكان في البراري إلى يوم ظهوره لاسرائيل» إﻫ

يحيى في كتب الصابئة

قال (هيبل زيوا) الروحاني الذي نزل إلى العالم، وأوحى كتاب (الكنزا) إلى ابينا آدم على ما يعتقده الصابئة:

(فأعيد عليكم الكلام يا تلامذتي: إن مشيها - المسيح - ويقال له عطارد، سوف يختفي عدة أشهر في أحشاء ام بتول ثم يبرز منها بجسده، فيربو في حجر والدته، ويوضع من لبنها، وينشأ بين ظهراني اليهود، ويعرض مذهبه كله منذ أول نشأته، ثم يعد لنفسه عبدة له؛ ويكره أصحابه على استشعار المرعزّاء، وجزّ شعور الرؤوس فيرين الهوى على قلوبهم من حيث لا يدرون. ثم إن أصحابه يقومون بعيده يوم الشمس

وسوف يقول لهم «اني إله حق ،وقد أرسلني أبي إلى هنا، اني أنا أول الرسل وخاتمهم . اني الأب ، وإني الروح القدس ، وقد نبغت في الناصرة » وله عرش وسوف يرفع الناسوت بالناسوت ؛ وسوف ينتقل إلى أورشليم هذا وان اليهود سوف يتألبون اليه بما يرون منه ، وسوف يريهم معجزات وآيات غريبة حتى أنه ينشر الموتى من القبور، وبعيد الكلام اليهم ، وسوف يدعو اليهود ويقول لهم: تعالوا وعاينوا فإني أحيي الموتى وأنشرهم وأدفع الفدية واني أنا آنوش الناصري . هذا وان الروح نفسه سوف يسمع صوته في أورشليم ليشهد له . أما مشيها فإنه يفتن أبناء الناس، يعمدهم بماء قابل النشف ويغير عماد الحياة إذ يعمد المتشيعين له باسم الاب ، والابن، والروح القدس ، ويزحزح الناس عن عماد الحياة الذي تعمد به آدم في مياه الاردن الحية

«وفي ذلك العهد يولد ابن اسمه يهيى بن أبو صادا — زكريا — ويأتيه في شيخوخته ويكون عمر امه أنشوي مائة سنة حينما تحبل به ، وتلده ، في هرمها . وأما يهيى فسوف ينشأ في أورشليم لأن الإيمان يكون في صدره ، وسوف يطوف الاردن ، ويعمد الناس مدة ٤٢ سنة قبل أن يأتي العالم عطارد المتجسد (المسيح) وبعد ولادة يحيى في أورشليم ، بينما يطوف صقع الاردن ويعمد ، سوف يأتي مشيها — المسيح — ويتقدم بتواضع ليصطبغ بعماد يحيى ، وينتفع بحكمته . لكن مشيها سوف يعيث بمذهب يهيى ويغير عماد الأردن ، غير أنه في اليوم الذي يتم يهيى مهمته ، آتي اليه وأظهر له حينما يكون ابن ٣ سنين ويوم واحد لأكلمه عن العماد ، وأشرح له النعمة الإلهية . وفي آخر الامر أستل روحه من جسده ، وأرفعه بالطهارة والنقاء إلى آلمي دنهورا ، وأعمده في الماء الحيّ المنعش ، ماء الاردن الزلال ، وألبسه لباس المجد ، وأضع على مفرقه التاج النير ، واسمعه انشودة القلب الطاهر ؛ تلك الانشودة التي تشبه الاغنية التي يغنيها ملوك النور ويسبحون بها ملكا دنهورا إلى دهر الداهرين . إلا أن العالم ينحاز إلى الكذب بعد يهيى

ويدفع المسيح جميع الشعوب إلى اتباع تعاليمه . ومثله يفعل اثنا عشر من الرجال الذين سوف يطوفون العالم مدة ٣٠ سنة وفي تلك الحقبة يظهر الدجّال في الدنيا ، ويقيم الدعوى عليه ، ويسلمه إلى أيدي اليهود ؛ ويتركه أصحابه يموت مسمراً على صليب فحينئذ ينتشر أصحاب المسيح عَلَى وجه البسيطة وأما هو – أي المسيح – فيختفي على جبل مورا ، وكما أن الشمس تبقى بخاراً بعد وهجها ، فإن هذا المسيح يثير أيضاً في الارض تعاليمه . أما أبناء الناس الذين دانوا بدين الكذبة السبعة ، المعروفين باسم مدبّري الكواكب السبعة فإنهم يصيرون الى النار » (١)

يحيى في روايات أخرى

« قالوا و كانت الصابئة عند مولده – مولد يحيى – قد انقرضت من العالم بتة ، لأن أساقفتهم و كهنتهم كانوا قد ماتوا كلهم فبقوا من غير هاد ، ثم اختلطوا ببعض طوائف اليهود من غير أهل الختان ، فأشربوا عقائدهم ، ومذ ذاك انقطع الوفد عن عالم الانوار ، وهو دار النعيم ، فاستوحش أهله ، ورفعوا أمرهم بالتشكي الى – ماري أردبوثا – فاستحضر لوقته – منداد هي – أحد الثلاث مئة والستين شخصاً السماويين ، وأمره بتدارك هذه الثلمة ، فجاء بإناء فيه ماء ، وتلا عليه كلمات سرية ، ودفعه الى واحد من الملائكة ، وأمره أن ينطلق إلى – أي نشفي – وهي أم يحيى ، ويتلطف في الاحتيال ، بحيث تشرب منه ، دون أن تعلم ما فيه ، فارتسم الملك أمره ، وهبط إلى أي نشفي ، وجعل الأناء بين يديها ، وأدركتها عطشة فاغترفت من ذلك الماء في حفنتها وشربت منه ، فحملت لوقتها ، ولما كانت الليلة التالية ، رأى أحد اليهود في حلمه أن – أي نشفي – قد حملت ، وأن الولد الذي ستضعه سيكون زعيما على الأمة ، ويدين اليهود لأمره ، وانه سيعمدهم ، ويسقيهم ماء الممبولا ، وهو الماء الذي يسقيه كاهن الصابئة لكل معتمد

---

(١) هذا تعريب ما في كتاب الصابئة الكبير « كنزا ربا » على ما جاء في المشرق البيروتية ١٩٠١م (٤–٩٢٥)

فلما أصبح اليهودي، صار إلى العازار، رئيس ملّته، وقصّ عليه حلمه، فانطلق العازار حتى لقي أبو صادا، وهو زوج أي نشفي، وأعلمه أن زوجه حامل، فأنكر أبو صادا ذلك، وقال كيف يكون هذا وزوجي عجوز كبيرة، ولم تحمل قط مذ كنا معاً، فحشد العازار أعيان اليهود، وقص عليهم الأمر، فأخذوا قصص الحلم، وأنفذوا به إلى معبّرٍ للأحلام مشهور بالحذق والاصابة، فكان تعبيره مطابقاً لتعبيرهم؛ فعزموا على أن يتربصوا بـ — أي نشفي — أن تضع جنينها فيقتلوه عند ولادته، ولما جنّ الظلام قدم أبو صادا على العازار ليفاوضه في الأمر، فرأى العازار أبو صادا داخلاً، وبين يديه قبسان من نور ساطع، ووراءه مثلها، فقال العازار ما هذه المصابيح الأربعة التي حولك، فقال لا أدري؛ إنما هي المرة الأولى التي أرى فيها ذلك، وأجهل من أين جاءتني هذه الأنوار، وكانت مصاحبة له طول التسعة الاشهر التي كانت إمرأته فيها حبلى، وبعد أن أتى على — أي نشفي — تسعة أشهر؛ وتسعة أيام، وتسع ساعات، وتسع دقائق[1] من حين الحبل أخذتها أوجاع الطلق؛ فاجتمعت حولها نساء اليهود بالامر السري الذي تلقينه من قبل الرؤساء ليقتلنّ الطفل عند مولده، إلا انه لم يتم لهن ذلك لأن زهرئيل لالانو، وهو روحٌ موكّلٌ بالمواليد، وهو الذي يدير رأس الجنين من فوق إلى أسفل، قبل الولادة، أخذ الولد بعد خروجه من أمه[2]؛ وجعله بين أيدي الملائكة، فأخذوه إلى عالم النور، الذي هو الفردوس، وهناك شجرة تسمى — فهزيون ملالا — على أغصانها ثدي كثيرة حافلة باللبن إذا مات أحد الصابئة طفلاً بعد المعمودية وقبل أن يستوفي رضاعه، جُعل عليها، فرضع من تلك الثدي. فنشأ هذا الغلام الذي هو

---

(١) يقول الصابئة المندائيون ان الله تبارك اسمه أراد أن يميز يحيى بن زكريا، وعيسى بن مريم عليهما السلام فجعل مدة كل منهما في البطن زيادة على تسعة الأشهر المقررة للنساء بتسعة أيام وتسع ساعات

(٢) هذه هي رواية الصابئة. أما ما جاء في الأصل المنقول عنه فهو «أخذ الولد بأن أخرجه من فم أمه» والفرق بين الروايتين واضح

يحيى في الفردوس، واعتمد هناك باسم الإله وباسم ماري أدربوثا ومندادهي . وهذا الأخير هو أبوه الذي تلا الكلمات السرّية على الماء الذي سُقيته أمه على ما تقدم حديث ذلك ولذا كان يحيى في زعمهم يعمد باسم هؤلاء الثلاثة »(١)

ولما أراد يحيى إظهار نبوته في العالم السفلي، وسنّ شريعته، قرأ عليه أهل عالم الأنوار كلمات باللغة المندائية تقيه أذى النار والماء والسلاح وسائر الآفات، وعلموه كلمات أخرى إذا نطق بها أدرك ما شاء، وفعل كل ما أراد، ثم سلموه بيد — أنش اثرا — أحد الثلاث مئة والستين شخصاً السماويين، ليصحبه إلى العالم السفلي، فركبا زورقاً في الأردن، واتجها نحو أورشليم، حيث كانت قبيلة يحيى، فعرفته خادمة بيت أبيه، وأخبرت أمه «أي نشفي» بذلك فهمّت هذه بالذهاب إليه، فمنعها زوجها أبو صادا من ذلك وهدّدها بالطلاق إن هي سارت الى حيث تريد، فسقطت صحيفة من السماء بين يديه فتناولها فإذا بها هذه الكلمات «إياك وان تسوء إمرأتك بأمر ولكن هلمّ في أثرها فإنها ذاهبة للقاء يحيى» فنهض أبو صادا وتبع زوجته واحتفلا بالقادم كما احتفل هو بهما. وكانت الشمس والقمر تحفظان يحيى، فلما وصل وانش أثرا أورشليم أظهر معجزاته وهي شفاء المرضى، والعميان، فلم يؤمن بـه اليهود وأحرقوا عليه منزله إلا ان النار كانت برداً وسلاماً عليه، فضربوه بأسلحتهم فلم تعمل فيه عملها المأمول، فلما رأوا ذلك آمنوا برسالته، ما عدا العازار واتباعه؛ واعترفوا به زعيماً عليهم، وهم لا يبرحون في طاعة خلفائه الى يومنا هذا.

وفي كتاب الصابئة الكبير «الكنزاربا» انه كان قبل ظهور يحيى ملك يسمى «داراملكه» ولما مات تشتتت الصابئة، وتبعثرت كتبهم، بفعل الحروب التي دارت بينهم وبين الاسرائيليين، فلما ظهر يحيى جمع ما تبقى من هذه الكتب، وصنّف كتباً أخرى

---

(١) مجلة البيان : (١٠٠-١٠٢) القاهرة ١٨٩٧م

وزّعها على أتباعه؛ كما استعاد الصابئين الفارّين من ظلم بني إسرائيل، وأمرهم بالرجوع إلى كتبهم القديمة. فمنهم من لبى الطلب، ومنهم من رفضه.

وفاة يحيى عليه السلام

ولما أقرّ يحيى شريعته بين أتباعه، خرج إلى عدوة الأردن، حيث عمد السيد المسيح «ويسمونه مشيها» باسم الإله واسم ماري أدربوثا ومندادهي، الاسماء التي هو عمد بها، وبما أن يحيى كان بارعاً في الجمال، فقد دعا الله أن يصونه من حبائل النساء، وبقي زمناً طويلاً أعزباً حصوراً، فحرضته الصابئة على الزواج، خشية إضمحلال ملتهم، فنزل عند رأيها، وعادت الصابئة إلى الزواج، وأخذ مؤمنوهم أيضاً يتزوجون.

ولما أحس يحيى بدنو أجله قال لزوجته: ماذا أنت صانعة من بعدي؟

قالت: أنقطع عن الطعام والشراب تعجيلاً لأجلي حتى أذهب وأنضم اليك.

فقال يحيى: بل ستأكلين وتشربين ثم لا تخطربني ببالك.

قالت: سأعتزل الغُسل ولا أضفر شعري ما بقيت حتى أذهب وأنضم اليك.

فقال يحيى: إنك لم تُمضي ما تقولين بل ستغتسلين، وتضفرين شعركِ، وأصير عندك نسياً منسيا.

قالت: سأنقطع في خبائي لا أرى إنسياً حتى أموت وانضم اليك.

فقال يحيى: بل ستنقادين لالحاح ذوي القرابة والأصدقاء فيخرجونك من خبائكِ وتسلينني.

فقالت: وما عسى أن أزيد على ذلك؟

قال: كل ما تكلمتِ به إنما هو خفّة ورعونة. إن خير ما تعملينه من بعدي: الابتهال إلى الله، ودعوة الاساقفة، والقسيسين، ليأكلوا مما تذبحينه لأجلي فيصلوا

علي ، وتبقين أنت على بشاشتك[1]

وما ان أتم يحيى حديثه مع زوجته ، حتى وافاه مندادهي «أبوه» متمثلا بصورة فتى وطلب اليه أن يعمده ؛ فوعده يحيى أن يعمل ما يريده في الغد ، فلما كان اليوم التالي وافاه مندادهي ، وهو يصلي ، فظن أنه جاء ليتعلم الصلاة ، ولكنه أخذ قبساً ورمى به يحيى فنام ، ودعا (مندادهي) الله جل جلاله أن يجعل النهار أربع ساعات ، فأجابه الباري إلى دعائه ، فلما استيقظ يحيى من سباته ، بعد مضي أربع ساعات ؛ ذهب إلى الماء الجاري ، فاغتسل وصلى ، وعندها طلب اليه الفتى «مندادهي» أن يعمده ، فنزل يحيى في النهر وامر الفتى ان يتبعه ، فأخذ ماء النهر يرتفع بالتدريج ؛ حتى غمر ثياب يحيى ، فأسرع يحيى إلى اليابسة ، فنزل الماء ، ولما عاد يحيى اليه ، عاد الماء الى الارتفاع ، وتكررت الحالة ثلاث دفعات ، فلما كانت المرة الرابعة ، أسر مندادهي إلى الماء ان لا يرتفع ، فظهرت الطيور والأسماك ترفل بحلل بيض ، وأحاطت بيحيى ومندادهي ، فأدرك يحيى السر وصاح «تبارك اسمك يامندادهي» وقبله في جبينه ، فظهر مندادهي بمظهره السماوي ، فأراد يحيى أن يلمس يده ، فرد عليه الملاك «إن تمسسها تموت» فرد يحيى انه يتمنى ذلك الموت ، ليذهب إلى عالم الأنوار (آلمي دنهورا) فأعطاه مندادهي يده ، فلمسها يحيي ، فسقط جسده للحال ميتاً ورجلاه في الماء ، وسائر جسده خارجه ولحقت نفسه بنفس مندادهي .

وبينما الروحان تسبحان في الفضاء ، رأت روح يحيى جسده مطروحاً على الأرض ؛ تنهش فيه الطيور من جانب ، وتأكل فيه الأسماك من جانب آخر ، فتأوهت ، فسألها مندادهي السبب ؟ فأجابت انها خلفت وراءها اطفالا كانت تود أن تقوم بأودهم ، فرد الملاك عليها (ما لهذا تأوهت ، ولكنك نظرت إلى جثتك تنهشها الطيور والأسماك

1- M. N. Siouffi : Études Sur La Religion Des Soubbas P. 10 - Paris 1877

فجزعت ، ولكني سأجعلها في حرز حريز)

وعندها أخذ منداد هي حفنتين من التراب ، وألقاهما على جثة يحيى ، فكانتا قبراً له ، واستمرّت الروحـان في السير سويةً حتى بلغتا نهر (دخشاشة) وهو النهر الذي يفصل بين المطراثي والفردوس ، فركبتا زورقا انتهى بهما إلى عالم الأنوار ، فأُقام يحيى في قصر منداد هي .

هذه هي قصة ميلاد يحيى بن زكريا، وقصة قبض روحه، على ما جاءت في الاسفار الدينية المنوعة، وفي المصادر المختلفة ، نسردها من دون تعليل ولا تعليق

مدفن يحيى (ع)

ذكرنا على ص٥٢ من هذا الكتاب أن هردوس ، الحاكم على بني اسرائيل ، أمر بذبح يحيى بن زكريا عليه السلام لمعارضته اياه على الزواج من « هيروديا » ابنة اخيه فأين دفن الذبيح ؟

في داخل المسجد الأموي في الشام قبر يعلوه مشبك فخم يرى المسلمون انه قبر يحيى (ع) ، اما المسيحيون فانهم يقولون ان رأس النبي القتيل دفن إما في « كنيسة المسقوف » على رأس قمة جبل الزيتون في القدس ، وإما في جوار (نابلس) بفلسطين اما الجسد فانهم لا يعرفون عن موضع دفنه شيئاً . على حين ان الصابئين (المندائيين) يعتقدون ان الجسد والرأس دفنا في ششتر بايران .

كتب الصابئة المقدسة

الكتب المقدسة هي المصادر الوحيدة لأديان العالم، وليس من امة على وجه البسيطة لاتستمد ديانتها من كتب ، تعتقد بصدورها من مصدر سماوي ، وحتى الأمم المتوحشة تسند أساطيرها وطقوسها إلى مصدر روحي وراء هذا العالم المنظور .

وتجتهد هذه الأمم في أن كتبها صادرة من واسطة التبليغ مباشرة ، بل قد يترقى البعض منها فيجعل هذه الكتب منزلة بمجموعها من السماء ، كما تدعيه الصابئة في «صحف آدم» المفقودة ، أو كما يدعيه اليهود في «نورانهم» قبل السبي ، وقد يكون هذا الدافع طبيعياً لتقوية الاعتقاد ، وبناء الايمان على أساس متين .

وقد سعت المجامع التي عقدتها الأمة النصرانية في القرون الوسطى إلى تصحيح الأناجيل ؛ وإلى محو المشتبه فيه ، كما حصل هذا التصحيح للقرآن في صدر الاسلام ، حينما أمر الخليفة الثالث: عثمان بن عفان (رض) بمحو كل ما كتب بغير لغة قريش .

وهكذا نجد الأمم على اختلافها تعتقد بأن كتبها هي المصدر المفيد لليقين بتكاليفها ، والواسطة التي تدين بها لمعبودها

ويرى الصابئة — زيادة على ما تقدم ؛ وعلى ما تراه الامم الأخرى — أن كتبهم المقدسة قد توارثوها بصورها الموجودة لديهم عن آدم أبي البشر ، ومنه انحدرت إلى نوح عليه السلام ، وبعد الطوفان إلى سام ، ثم إلى ولده رام ؛ ومنه إلى إبراهيم الخليل ، فموسى الكليم ، فيحيى بن زكريا ، الذي يسمونه يوحنا المعمدان . وهم يعترفون بأن معظم هذه الكتب قد تلف ، بالرغم من حرصهم الشديد على الاحتفاظ بها ، إلا أنهم لا يشكون — في الوقت نفسه — في أن صورة الموجود منها طبق الصورة الأصلية المنزلة ، وان التطورات التاريخية لم تؤثر عليها ، لا من حيث اللغة ، ولا من حيث الترتيب ، وقد

يكون هذا الشيء مستبعداً في نظر العلماء ؛ وفي نظر المدققين

والذي يلفت الأنظار بنوع خاص أن الصابئة يحرصون على منع الغير من الاطلاع على كتبهم المقدسة منعاً شديداً، لأنهم يرون في هذا الاطلاع أمراً محرّماً يؤثم الفاعل عليه ، ولهذا لا يكاد الانسان يستطيع الوقوف على أحدها إلا بشق النفس، وقد حاول فريق من المستشرقين : فيهم الألماني، والفرنسي ، والايطالي ، والانكليزي ؛ أن يحصل على بعض هذه الكتب ، وبذل في سبيل ذلك مبالغ طائلة فأخفق ، ولذا ندر وجود أمثال هذه الأسفار الدينية في خزائن الكتب المشهورة ، وبالرغم من كل ذلك، تسرّبت جملة من هذه المصادر إلى بعض هذه الخزائن ، نتيجة لما بذله هذا البعض من الخزائن من أموال وفيرة ، ووسائل مغرية للظفر بهذه المصادر . أما لغة هذه الكتب فهي «المندائية» وهي لغة سامية قريبة من «السريانية» و كانت مشهورة في قديم الزمان غير ان «المندائيين» يعتقدون بانها اللغة التي كان يتكلم بها آدم عليه السلام

وأهم الكتب التي بقيت اليوم في أيدي الصابئين «المندائيين» هي :

١ – كتاب الكنزاربا – Qinza Rabba

أي الكتاب العظيم، ويقال له «سدرا آدم» أو «صحف آدم» وقد يكتفون بقولهم «السدره» بوجه الاطلاق . وتنحصر مباحثه في ذكر بدء الخليقة ، والتطوّرات التي حدثت للبشر ، وفي صفات الخالق ، وفي الوعظ والارشاد .

وتختلف الصابئة في عهد كتابته . فمنهم من يقول أن تاريخه يرتقي إلى ما قبل النصرانية، ومنهم من ذهب إلى أنه من عهد يوحنا المعمدان ، ومنهم من قال غير ذلك، وذهب الأب أنستاس ماري الكرملي في مجلة المشرق البيروتية « ٥ (١٩٠٢) ص ٣٠٨ » إلى أنه لم يكتب قبل سنة ٧٠٨ للميلاد لوجود نصوص فيه تؤيد ذلك ، وعلى كل لا يكاد تاريخه يعرف بالضبط .

ولهذا الكتاب طبعتان : الاولى نشرها المستشرق السويدي M. Norbery بحروف سريانية مع ترجمة لاتينية في أربعة مجلدات في « كوبنهاغن» سنة ١٨١٥م، والثانية نشرها

صفحة من كتاب « الكنزاربّا »

المستشرق الألماني J.H.petermenn على حجر بالنص المندائي في (لايبسك) سنة ١٨٦٧م

وفي «خزانة المتحف العراقي» نسخة كاملة من الطبعة الاولى برقم (مطبوعات ٤٧٦٢ / ٤٧٦٦ وهي نادرة جداً، كما ان في هذه الخزانة نسختين مخطوطتين من هذا الأثر الكبير. رقم الاولى (مخطوطات ٢٥٣) وهي في ١٦٨ + ٤٤٢ صفحة بقطع ٣١ × ٢١سم ورقم الثانية (مخطوطات ١٤٤٠) وهي في ٤٩١ + ١٨٢ صفحة بقطع ٣١×٢١سم. مع ٢٠ سطراً في كل صفحة، و كلتا النسختين على ورق معشر(١)

إن من مميزات هذا الكتاب المقدس أنه يتقوم من قسمين: يميني وشمالي، فإذا مسكه أحدهم من القسم اليميني كان قسمه الشمالي مقلوبا، أي يكون أعلاه أسفله، وإذا مسكه من القسم الشمالي، كان قسمه اليميني مقلوبا فيستطيع مؤمنان قاعدان على حافتي الساقية الواحدة أن يقرءا فيه في آن واحد

٢ — كتاب أدرافشادهي

ويقال له (سدرا ديهي) أي تعاليم يحيى أو كتاب يحيى، وهو أحدث تاريخاً من الكتاب الأول على كل حال، ويتضمن حياة نبي الله يحيى، وإرشاداته، وتعاليمه الدينية. ويقولون ان الملاك جبرائيل كان قد أوحى إلى يحيى بن زكريا أن يضع هذا الكتاب ويسميه بهذا الاسم وقد نقله إلى الالمانية المستشرق الألماني M. Lidzbarski في سنة ١٩١٥م بكل دقة وعناية

٣ — كتاب القلستا

أي كتاب الفرح، أو الطرب، وهو كتاب خاص للبحث عن رسوم الزواج، وسننه، والاحتفالات التي تقام أثناء عقده؛ وعن كيفية تحليل النكاح الشرعي، وإجراء الخطبة، وما إلى ذلك

---

(١) «وهناك ترجمات وشروح ظهرت في فترات مختلفة منذ ذلك التاريخ كانت خاتمة ما ظهر منها طبعة البروفسور *Mark Lidzbarski* في سنة ١٩٢٥ وهي طبعة جليلة مع ترجمة إلى اللغة الألمانية»
E. S. Drower, the Mandaeans of Iraq and Iran p. 24. London 1937

٤ – كتاب سدرا دنشماثا

أي (كتاب النفوس) ويعتقدون انه أُنزل على آدم أبي البشر ، وموضوعه البحث في السنن التي ينبغي إتباعها في الجناز ، وتلقين الأموات ، و كيفية دفنهم ، وأسباب تحريم البكاء أو إعلان الحداد عليهم ، و كيفية إنتقال الروح من الجسد ، فالارض ، فعالم الأنوار ، (آلمي دنهورا) وما إلى غير ذلك مما يتعلق بالموت ، والمعاد. كما ان فيه نصوص الصلاة التي يقروءها الروحاني في حفلات الاعتماد. وقد نقل القسم المختص منه (بطقوس التعميد) إلى الألمانية المستشرق M. Lidzbarski سنة ١٩٣٠ م

وفي خزانة المتحف العراقي نسخة حديثة منه ، باللغة المندائية ، نسخت للأب أنستاس ماري الكرملي على ورق معشر سنة ١٨٩٤م فجاءت في ٢٨٤ صفحة بقطع ٣١×٢١ وفي كل صفحة ٢٠ سطراً ورقمها « مخطوطات ١٨٩٦»

٥ – كتاب الديونان

وقد يسمى « الديوان » أحيانا للتخفيف ، وهو سفر ضخم يعدّ من أنفس كتب الصابئة ، التي تعين المتتبع لديانتهم على الوقوف على أهم ما يتطلبه الباحث ، إذ فيه قصص بعض الروحانيين ، وسيرهم ، مع صورهم ، ونسخه أندر من الكبريت الأحمر.

٦ – كتاب أسفر ملواشي

أي « سفر البروج » والعامة تسميه «أصفر ملواشا» وهو كتاب يستعين شيوخ الصابئة به على معرفة حوادث السنة المقبلة كبيرها وصغيرها كما يستعينون بواسطته من معرفة البرج الذي ولد الشخص فيه ، فيستنبطون منه اسمه المقدّس ، الذي يبقى محفوظاً لديهم ، ويعينون به طالع المولود . كما أن في الكتاب أذكاراً وأوراداً متنوعة يستعينون بواسطتها على طرد النوائب ، وإبعاد الأمراض.

وقد نشرت الليدي دراور E. S. Drower هذا الكتاب بنصه المندائي سنة ١٩٤٩

فجاء في ٢٨٩ صفحة كما نشرت ترجمة له بالانكليزية فجاءت في ٢١٨ صفحة

٧ - كتاب الانياني

أي « كتاب الأناشيد » أو (الأذكار الدينية) التي تتلى في الصلاة اليومية . وقد أطلعني الشيخ دخيل الصابئي على نسخة قديمة منه ، كتبت على رق غزال ، وذكر أن فيها بعض السنن التي تتبع في دفن الموتى من الصابئة ، إلى الأذكار التي يتلونها في صلواتهم اليومية ، كما شهدت نسخة ثانية منـه في خزانة المتحف العراقي برقم (مخطوطات ٢٠٨٧) نسخت للأب أنستاس الكرملي على ورق معشر عام ١٨٩٥ م فجاءت في ٢٠٨ صفحات من حجم ٢/١ ٢١ × ١٦ وفي الصفحة ١٣ سطراً .

٨ - كتاب قماها دهيقل زيوا

(أي عوذة هيقل زيوا ، وهو عبارة عن درج كبير فيه أكثر من ألف ومئتي سطر ، وهي عبارة عن تعزيمات شتى يحملها متدينو الصابئة ، ويزعمون أن من يلبس هذا الحجاب لا يؤثر فيه سلاح نار أو سلاح بتار ، وهذا الدرج لا يكتب لأحد مالم يكن المندائي المستكتب قد أظهر علامات الصلاح والتقى بما لا مزيد عليه ، وفي آخر الدرج الأصلي الذي ينسخ عليه ، والمحفوظ عند أسقفهم ، قرأت هذه العبارة - إزدهر إزدهر ، إزدهر لكل أنش لا تكدف - ومعناها تحفظ ، ثم تحفظ ، ثم أقول لك تحفظ من أن تكتب القماها لكل من كان أو لكل أحد . وهم يحرصون عليها كل الحرص حتى أنه لا يجوز لهم أن يدعوا من لم يكن من دينهم أن يمس هذا الدرج خوفاً من أن يتنجس أو يفقد مفاعيله وإذا فقد منهم فكل ما يبذلونه من البيضاء والصفراء في جانب استحصاله لا يعد شيئاً مذكوراً)[1]

---

(١) المشرق البيروتية (١٩٠٢ م) ٥ ص ٣١٠

٩ - تفسير يغره

يبحث هذا الكتاب في علم تشريح جسم الانسان وتركيبه ، وفي المعنى المستتر للأطعمة التقليدية التي يتناولها أبناء الطائفة . كالبهثة والممبولا ونحوهما

١٠ - كتب أخرى

وللصابئة - عدا ما تقدم - عدة كتب تتعلق بطقوسهم ، وآدابهم ، ومعايداتهم ، وسائر سننهم الاجتماعية مثل كتاب « الشروح » لمسائل دينية مختلفة ، وكتاب (الف ترسر ألفي شيالا) أي كتاب الاثني عشر الف سؤال ، و كتاب (كداوا كدفياتا) أي كتاب العوذ . . . الخ



علماء الصابئة

﴿ توطئة ﴾

لكل أمة من الأمم طبقة خاصة من رجالها تمتاز بكونها ذات منزلة مقدسة ؛ وبكونها تشرف على أمور الامة الدينية . وتتبع هذه الطبقة – في كثير من تصرفاتها وأوضاعها – قوانين الدين ورسومه الخاصة ، وقد تسمح لها السلطات المدنيه في كثير من الأمم بالاستقلال ببعض أمورها ، وباتباع أنظمتها الخاصة ، وبنسبة رقي الامم وانحطاطها تكون الحاجة شديدة وخفيفة إلى هذه الطبقة .

ففي الامم المتمدنة تقتصر وظائف هذه الطبقة على إقامة الطقوس الدينية ضمن المعابد والهياكل ، وتنحصر واجبات الجمهور نحوهم بالتقديس والاحترام . أما في الامم المنحطة فتكاد تكون كل حركة من حركات الناس متوقفة على الاذن والرخصة من قبل رجال الدين ؛ ويكاد سلطان الدين فيها يكون سلطانا مطلقاً لا يزاحمه أي سلطان آخر .

والصابئة من الامم التي تحكمت السلطات الدينية فيها ، وجعلت كلمتها هي النافذة في أمور الطائفة كافة . فالولادة ، والتسمية ، والتعميد ، والزواج ؛ والصلاة ، والذبح ، والجناز ، كل ذلك لا يتم إلا على أيدي رجال الدين .

وقد حتمت الشريعة الصابئية على من أراد الانخراط في سلك رجال الدين أن يكون سليم الجسم من العيوب الخلقية كافة ، صحيح الحواس الخمس ، غير مصاب بالبرش أو الجدري أو نحوهما ، وأن يكون سليل عائلة قد تمتعت بهذه النعم الخلقية منذ سبعة أظهر ، وأن لا تكون أمه ثيباً حينما تزوجها أبوه إلى سبعة أظهر أيضاً ، وأن لا يتزوج هو من ثيب بصورة مطلقة . كما أباحت هذه الشريعة للصابئية أن تدخل في هذا السلك إذا استوفت الشروط التي يجب أن يستوفيها رجل الدين ، ولكنها

لا تمارس أعماله الدينية ولا تقوم بواجب ديني نحو الطائفة[١].

وينقسم هؤلاء الرجال الدينيون – بحسب رتبهم – إلى خمسة أقسام، يستطيع المنتمي إليها أن يتدرّج فيها حسب الاصول والشروط بعد أن يدرس دراسة خاصة ويقوم برياضة روحية خاصة، يعقبها امتحان خاص، وهذه الاقسام هي:

١ – الحلالي

ويسميه العامة (الشماس) وهو الذي اقتصرت دراسته على بعض كتب الدين الاولية، وتعمد التعميد الخاص بهذه الطبقة، ونذر نفسه للسير في الجنازة، وفي إقامة سنن الذباحة للعامة.

أما كيفية سيره في الجنازة فسيأتي البحث عنه في موضع آخر، وأما كيفية إقامته هذه السنن فهي أن يلبس (الرستة) و (السفيفة)[٢] وأن يحضّر مقداراً من القصب أو البردي أو الحلفاء، وينظفه في الماء الجاري، ثم يطهر الذبيحة في الماء الجاري أيضاً بأن يغمسها فيه ثلاث مرات، ثم يطرحها على القصب، ويقرأ عليها أذكاراً دينية خاصة[٣]

–١– «اما سيرة المتدينين من الصابئة فانهم أهل صلاح وزهد وحسن سمت، قريبون من الخير، بعيدون عن الشر، أهل تعفف وامساك، متواضعون شديدو الاحتشام حتى لا يرفع أحدهم صوته في التكلم، ولا يشير بيده ولا يتحرك وهو يتكلم، ولا يغضب ولا يقابل شتيمة بمثلها، ولا لطمة بمثلها، بل اذا شتم أو ضرب فعليه أن يذهب الى خصمه ويصالحه مهما كانت منزلته من منزلته. وهم يقومون لكل من سلم عليهم أيا ما كانت حاله وسنه حتى السائل»

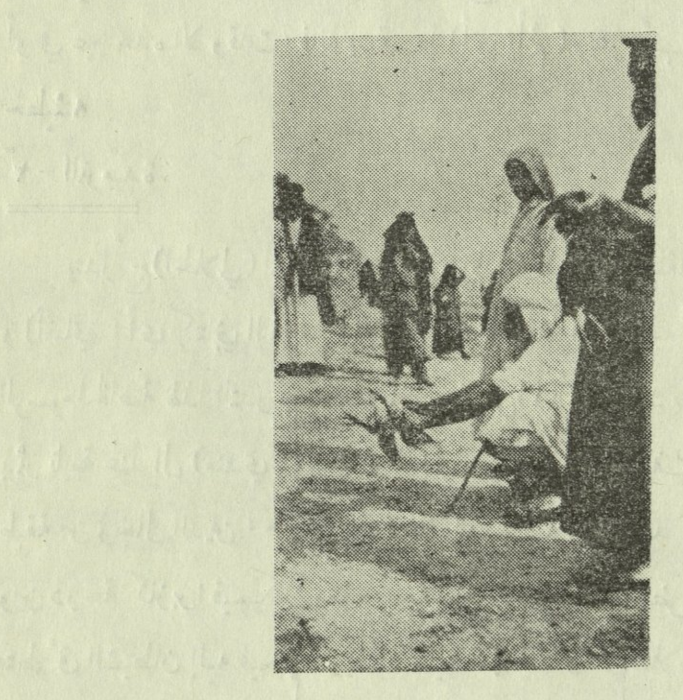
مجلة البيان ص ٢٩٠ (القاهرة ١٨٩٧)

(٢) الرستة رداء ديني يتوجب لبسه على كل من يباشر أمراً دينياً مهما كان طفيفاً، ويتألف من سبع قطع بيض وهي: العمة والنصيفة «للرأس» والثوب والسروال «للجسد» والهميانة والدشة «للحزام» والكابوع – بالكاف الفارسية – وهو كالروب يغطي الجسم بأسره

(٣) يقولون في الذبح ما ترجمته: «بسم الله الحي القيوم. الله خلقك وجبرائيل ذبحك. كل نفس تأكل منك تحيي وتقدس. بسم الله الله اكبر»

ثم يشرع في ذبحها مستقبلا الشمال . ولا يسمح لأحد أن يمس الذبيحة لانها تنجس باللمس .

أما ذبح الدجاج فيختلف عن ذبح الأنعام إذ لا يصح فيه أن توضع الذبيحة ، حال ذبحها وبعده ، على الارض ، إنما يغمسها (الحلالي) في الماء الجاري ثلاث مرات ثم يذبحها وهي في يده ، ثم يلوي رقبتها حتى يستنزف آخر قطرة من دمها ، وبعد أن يرش



« الحلالي » يذبح طيراً

قليلا من الملح على مذبحها ، يسلمها بيد صاحبها ، ليرميها في القدر المعدّ لطبخها مباشرة ، لأن وضعها على الأرض ينجسها ، كما أنها تنجس إذا لمسها أحدهم .

وكما لا يجوز للصابئة ذبح الذبيحة المصابة بإحدى العاهات : كالعوراء والشلاء ومشقوقة الاذن ، ومكسورة القرن ، ونحو ذلك ، كذلك لا يجوز لهم ذبح الدجاجة العوراء ، أو المعتلة بإحدى العلل . وعلى كل يشترط حضور شاهد «ويسمونه إشكنده»

ليشهد رسوم الذبح في جميع الأحوال وهو حافي القدمين ، ماسكا كتف (الحلالي) بيده اليمنى ، ولابساً الحلة الدينية المعروفة : «الرسته» .

ويحرم الذبح بعد غروب الشمس ، وقبل شروقها ، إلا في أحد أعيادهم المسمى بعيد البنجه ، وهو عيد يستمر خمسة أيام ، كما يدل على ذلك اسمه المأخوذ من اللفظ الفارسي ، وفيه يتساوى الليل والنهار . فإذا ذبح (الحلالي) ذبيحة غير مستوفاة لهذه الشروط أو في غير هذه الاوقات ، فانه يسقط (أي يأثم) ويتوجب عليه التعميد للتكفير عن خطيئته

٢ - الترميدة

يتدرج (الحلالي) الى درجة ترميده إذا فقه الكتابين المقدسين (سدرا دنشماتا) و (أنياني) أي كتابي النفوس والأذكار ، أوحفظ قسما كبيراً منهما ؛ وبعد ان يجري الرسوم الخاصة لهذا التدرج وذلك بأن يتطرس(١) أي يتعمد بالارتماس في الماء المتصل ببئر نابعة عند ال (مندي) ويبني له عريشا من القصب النظيف يقال له المجلس يحضره طبقة من رجال الدين ، من درجة مماثلة للدرجة التي يريد الانخراط في سلكها ، ومن درجة كنزبرا فيمكث معهم سبعة أيام كاملات لاتغمض له فيها عين ، خشية أن يتطرق الشيطان إليه فيحتلم ، ويفسد عليه عمله ، لأن الاحتلام عندهم دليل على عدم كفاءة الرجل (الحلالي) إلى هذه الدرجة (الترميدة) ولهذا السبب نراه يضطر إلى الإكثار من تلاوة الكتب ، والأدعية ، وإقامة الولائم والافراح ؛ ودق الطبول والأبواق ، حتى تنتهي المدة المذكورة . ومنهم من يحتفظ بقنفذ ، وهو حيوان صغير ذو أشواك ، فيطلقه عليه اذا أدركته سنة من النوم فينتبه من شدة الالم ويحاذر الوقوع

---

(١) تطرس المؤمن إذا تعمد. وتطلق كلمة «الطراسة » عند المندائية على التعميد الذي يجري لمن يدخل في سلك رجال الدين ، أولمن يرتقي من منصب ديني إلى منصب آخر أرفع منه .

في مثلها. فإذا أتم المدة كاملة الشروط، أصبح (ترميده) أما مجلسه المذكور فيسمى (شخنتا) وهو مجلس خاص كالصيوان ينشؤونه لهذه الغاية فقط، فإذا تم الغرض من إنشائه هدموه فورا.

ويجوز (للترميده) أن يعقد على المرأة الثيب، إذا كان تقيا، حسن السمعة والسيرة؛ فتنحصر وظيفته في العقد على الثيبات، ويحرم عندئذ من الارتقاء إلى درجة (كنزبرا)



« الترميده » الشيخ فرج بن الشيخ سام بلباس « الرسته »

ولا يمارس أعمالا دينية غير العقد المذكور، فلا يذبح، ولا يمشي في جناز، ويسمى عندئذ (الابيسق) — بالتصغير — أو (كنزبرا من الدرجة الثانية)

٣ — الكنزبرا — Al Qanzibra

لابد للترميده الذي يريد أن يرتقي إلى درجة (كنزبرا) — أن يكون مطلعا على كثير من التفاسير والشروح الدينية، وحافظا لكتاب (الكنزا) — كتابهم

الرئيس – وأن يكون متزوجا وغير عقيم ، وسبق له أن عقد مهراً ا (ترميده) من قبل ، فإذا لم تكن له زوجة وذرية لا يصح له أن يصبح « كنزبرا » وإذا ارتقى إلى هـذه الدرجة، وجب عليه الانقطاع عن مواقعة زوجته حتى يعقد مهراً آخر لعالم من درجة (ترميده) فتباح له المواقعة التي منع عنها ؛ كما يشترط عليه أن لا يكون قدعقد عَلَى ثيبٍ ما ، لأن العقد على الثيبات من إختصاص (الابيسق) أي (الترميده) الذي



« الكنزبرا » الشيخ عبد الله بن الشيخ سام بلباس « الرسته »

وقف نفسه للعقد على الثيبات – كما أسلفنا – فتسمى بهذا الاسم

أما الرسوم التي يجب عليه أن يجريها لذلك، فهي إقامة عريش من القصب والطين، وسعف النخيل النظيف ، يسمونه « شختنا » على مقربة من بئر متصلة بماء جار عند ال (مندي) يتطرّس فيها بمشهد من رجلين من الدرجة التي يسعى اليها ؛ وأثنين آخرين من درجته الأصلية (ترميده) فإذا أتم هذه الرسوم، أصبح (كنزبرا) أي مفسر كتاب

الكنزا ، أو صاحب الحق في تفسير هذا الكتاب الرئيس المقدس . على أن لا يتم ذلك إلا في عيد البنجة . والعامة تسمي الكنزبرا « القس »

وليس بين الصابئة اليوم غير عدد محدود (لا يتجاوز عدد الاصابع في اليد الواحدة) من أرباب هذه الدرجة [١] . أما الدرجتان : الرابعة ، والخامسة ، اللتان سيأتي الكلام عليهما ، فلم يبلغ اليهما أحد في هذا العصر ، لعدم توفر الشروط المطلوبة لهما في أحد من الصابئين الحاليين .

٤- الأرشمة

« الارشمة » كلمة مندائية معناها « رئيس الامة » وصاحب الكلمة النافذة فيها ، وليس بين الصابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة بعد .

ويشترط للكنزبرا الذي يريد الارتقاء إلى درجة « الأرشمة » أن يكون عالما كبيراً ، وشخصاذا أهلية و كفاءة ممتازتين ، تجعلانه جديراً بهذا المنصب الخطير .

أما الرسوم التي يجب أن يجربها فلا تختلف عن تلك التي يؤديها (الترميده) الذي يريد التدرج إلى درجة « كنزبرا » إلا في عدد الأشخاص ، الذين يحضرون إقامة الرسوم من طبقته ، فإنه يشترط أن يكون عددهم سبعة ، وأن يكون هؤلاء السبعة ممن استفادوا من علمه ، و « تتلمذوا » عليه ، كما يشترط أن يحضر هذه الرسوم علماء آخرون من درجة (ترميده) ليقرأوا قراءة خاصة تتعلق بموضوع صيرورته أرشمه ، فاذا لم يتوفر العدد المطلوب من الدرجتين (الكنزبرا) و (الترميده) لا يقبل ترشيح أحد الى درجة « أرشمه » .

١- هم اليوم ثلاثة فقط وهم (١) الشيخ عبدالله بن الشيخ سام ويقيم في بغداد (٢) الشيخ دخيل ابن الشيخ عبدان ويقيم في ناصرية المنتفق (٣) الشيخ نجم بن الشيخ زهرون ويقيم في البصرة

٥- الربّاني

بعين الشروط التي يجتاز بها «الكنزبرا» إلى درجة (أرشمه) يرتقي الأرشمة إلى درجة (ربّاني) إلا أنه يختلف بعدد الشهود؛ الذين يحضرون طراسته (تعميده) فإنه يشترط أن يحضر إقامة هذه الرسوم الدينية سبعة أشخاص من كلٍ من الطبقات الثلاث: الترميده والكنزبرا، والأرشمه، ويتلو الشهود المذكورون، لدى إقامة هذه الرسوم، أذكاراً وأدعية خاصة، في أيام معلومة العدد؛ فإذا ارتقى (الارشمة) الى هذه الدرجة؛ فإنه يرتفع الى عالم الانوار (آلمي دنهورا) ليسكن فيه، فإذا اقتضى تبليغ طائفته بعض الشرائع والسنن الدينية، نزل الى الارض لإداء هذه الرسالة ثم عاد الى عالمه النوراني

ويقول الصابئون انه لم ينل هذه المرتبة من السابقين حتى الآن إلا يحيى بن زكريا عليه السلام، وهو النبي المسمى في لغتهم المندائية (يهيه يهانه) كما انه لا يجوز وجود شخصين من هذه الدرجة في وقت واحد، ويقولون ان يحيى هذا (لم يكن رسولا بل نبيا خاصا بهم).

❊ طعام رجال الدين ❊

لا يجوز لرجل الدين (الصابئي) أن يأكل من دار غير داره، إلا إذا كان قد عمّد صاحبها بيده؛ ولا من يد امرأة غير معمدة من قبله، أو إذا كانت حائضا أو نفساء، وإنما يختص بزوجته التي عمدها هو، واعتمد على معرفتها برسوم الطعام، والغسيل، وإحضار ماء الشرب، فتتولى هي إحضار طعامه، وشرابه، وسائر ما يحتاج اليه، برسوم خاصة، فإن لم تكن عنده زوجة، فيتولى هو بنفسه إعداد الطعام، والشراب لنفسه.

وعلى رجل الدين أن لا يمارس أي عمل ديني إذا طرحت زوجته، أو كانت نفساء، أو حائضا، حتى تنتهي العدة الشرعية لهذه الاحوال، وتتعمد حسب الاصول

أي انه يكون مجمداً خلال هذه الأحوال الموقتة .

وقد حضر الكنزبرا ، الشيخ دخيل في منزلنا في تموز ١٩٣٠ فامتنع عن أكل ما قدم اليه من طعام، كما انه امتنع عن تناول جرعة من الماء المقدم اليه، رغم ظمئه الشديد[١] وقد ذكر لنا أنه عندما يتناول الطعام في بيته ، فإنه يضع منديلا خاصاً على صدره ، فإذا سقط شيء من الطعام على غير هذا المنديل ، ارتكب إثماً يكلفه التحرر والتحلل منه جهداً عسيراً، ولاسيما إذا كان الفصل شتاء، والطقس بارداً إذ يجب عليه أن يتعمد في النهر الجاري .

ولرجال الدين هؤلاء ذبح خاص ، يختلف عن ذبح العامة من أبناء الصابئة ، وهم يتولونه بأنفسهم بأوضاع مخصوصة، وآداب يتوارثونها كابراً عن كابر ، ويتشددون كثيراً في ان لا يمس ذبيحتهم أحد غيرهم، وأن لا يلقي شيء عليها ، حتى وإن كان عود ثقاب ،أوحجر، أو قطرة ماء من صارية سفينة ، وقد يجوز لهم ان يذبحوا لمن كان من طبقتهم، كما انهم يتولون تعميد ابناء طائفتهم ، وتعليمهم الامور الدينية ، والعقد على العذارى وعلى الثيبات، بحسب درجاتهم الدينية، ويحضروا تغسيل موتاهم، وتكفينهم، وحملهم الى مثاويهم، وقبرهم في لحودهم، ونحو ذلك من الطقوس الدينية والسنن الاجتماعية الخاصة بهذا الفريق من الناس .

معاقبة رجال الدين

إذا وسوس الشيطان للعالم الصابئي (من درجة كنزبرا) فزنى ثم اعترف بجرمه وتاب واستغفر ، أو إذا أقيمت الحجة على ارتكابه هذا الجرم فاعترف وأظهر الندم، هبط الى درجة (ترميده) ووجب تعميده (٣٦٠) مرة من قبل سبعة من المؤمنين فيباح

---

(١) مرض الكنزبرا الشيخ جودة في العمارة فراجع الدكتور السيد حسن الحسني فوصف له هذا دواء ناجعا ولكنه امتنع عن اخذه قائلا : انه يفضل الموت على شرب الدواء وقد مات فعلا دون أن يتناول جرعة من الدواء المذكور

له استعادة مرتبته (الكنزبرا) بالاسم لكنه لا يزاول غير أعمال (ترميده).

وإذا ارتكب (الترميده) مثل هذه الخطيئة واعترف بها، او اقيمت الحجة عليه فتاب واستغفر، هبط الى رتبة (حلالي) ووجب تعميده (٣٦٠) دفعة بحضور سبعة مؤمنين فيسمح له بالاحتفاظ بدرجته (ترميده) ولكنه لا يستطيع أن يزاول غير أعمال (الحلالي).

أما إذا ارتكب (الحلالي) هذا الجرم فأقيمت البينة عليه، أواعترف بها وطالب بالغفران وجب تعميده (٣٦٠) مرة بحضور سبعة مؤمنين، ومنع من ممارسة أي عمل ديني.

فإذا ارتكبت زوجة (الكنزبرا) أو زوجة (الترميده) أو زوجة (الحلالي) هذه الجريمة النكراء فإن اعترفت بعملها، أوأقيمت البينة عليها فاعترفت وطلبت المغفرة وجب تعميدها (٣٦٠) مرة فإن رفضت التعميد أو انكرت الجريمة فإنها تطرد من بيتها وتجرد من حقوقها المادية والمعنوية كافة.

وإذا أخل (المؤمن) بواجباته الدينية، وجب أن يعمد سبع مرات في سبعة أيام بحضور سبعة من زملائه المؤمنين.

وإذا سها عن واجب ديني، وجب أن يعمد ثلاث مرات في ثلاثة أيام بحضر من ثلاثة مؤمنين.

أما إذا أكل لحماً غير نظيف فإنه يصبح (نازلا) ووجب عليه ان يعمد مرة واحدة من قبل مؤمن واحد.

ولا يظن القارىء الكريم ان (التعميد) عقوبة طفيفة يحتملها كل واحد في سبيل تحقيق شهواته النفسية. ان التعميد عملية شاقة تتطلب الارتماس في الماء الجاري في كل مرة، صيفاً كان الوقت ام شتاء، وتتطلب الخضوع الى رسوم وآداب خاصة يستغرق اجراءها نحو ثلاث ساعات، وهي الى ذلك تتطلب إرضاء المؤمنين و كسب موافقتهم لحضور التعميد في كل مرة.

الصوم و الصلاة

الصوم

لم تخل الشرائع القديمة من ذكر الصوم وفرضه ، ومن تعيينه لمدة معلومة . ففي أخبار قدماء البابليين ، والآشوريين ، حتى المصريين ، ماينبىء بأن الصوم عبادة عرفها البشر منذ القدم ، وقد جاء الاسلام مؤيداً هذه الفريضة بقوله عزّ من قائل « يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »[1]

أما شريعة الصابئين فنظراً لقدمها، وانقطاع القائمين بها عن دراسة العلوم والفنون ، فتكاد بعض طقوسها ورسومها أن تذهب أو تتغير . فبينما نجد إبن النديم ، المؤرخ المتوفى حوالى سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥م) يذكر لنا فرض الصوم عند الحرّانية من الصابئين حيث يقول :

« والمفترض عليهم من الصيام ثلاثون يوماً : أولها لثمان مضين من اجتماع آذار ، وتسعة أخر أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول وسبعة أيام أخر أولها لثمان مضين من شباط ، وهي أعظمها ، ولهم تنفل من صيامهم ؛ وهي ستة عشر وسبعة وعشرون يوماً »[2]

ومثل ذلك ما رواه ابن العبري المتوفى عام ٦٨٥هـ (١٢٨٦م)

« والصيام المفروض عليهم ثلاثون يوماً : أولها الثامن من اجتماع آذار ، وتسعة أيام أولها التاسع من اجتماع كانون الأول وسبعة أيام أولها ثامن إشباط »[3]

إذ نجد الصابئة المندائية « الحاليين » يحرمون الصيام في طقوسهم الدينية ، ويرون

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣

(٢) الفهرست لابن النديم (القاهرة ١٣٤٨ هـ) ص ٤٤٣

(٣) تاريخ مختصر الدول (بيروت ١٨٩٠م) ص ٢٦٦

انه من باب تحريم ما أحله الله ، وإن كانوا يتظاهرون به في أول رمضان من كل سنة مجاراة لمجاوريهم من المسلمين، كما كان يفعل أبو إسحق الصابئي مع الشريف الرضي (١) ونجدهم أيضاً يمتنعون عن أكل اللحوم ٣٦ يوماً، مقسمة بين أيام السنة؛ على نحو امتناع النصارى عنها . و كل هذه المتناقضات في عقائدهم إنما جاءت إليهم من تفرقهم ، ومن جهل علمائهم بما يحدث في الفنون ، وما يصل البشر إليه من الاكتشافات والعلوم .

الصلاة

الصلاة عند المتدينين رمز الخضوع والانقياد لأوامر الشريعة . فالمصلي يؤدي بحركاته وأعماله فروضاً إعتقادية تدل عليها تلك الحركات أو هاتيك الأعمال

وإذا كان الصوم قديماً وموجوداً في شرائع الأمم البائدة ، فإن الصلاة أقدم منه بكثير . فقد صلى البشر القديم وانحنى أمام مظاهر الطبيعة، حينما أرهبته وأخافته، وهو ما زال حتى الآن ينحني تعظيماً وإجلالاً أمام ما يتصوره من القوى المؤثرة في هذا الكون .

وقد تكون « الصابئة » من أشد الأمم محافظة على طقوسهم وعاداتهم ، لذلك لا نستبعد أن تكون صلاتهم أول وضع عرفه البشر للصلاة، وفي تأدية فروض العبادة

أما الأوقات التي خصصوها لتأدية هذه الصلاة فتدلنا بوضوح على عبادة البشر الأولى ، التي كان يقدس بها مظاهر الطبيعة . وتشتمل إقامة هذه الصلاة على رسوم وطقوس أضيفت عليها على توالي الأزمنة ، تبدأ بالطهارة والاغتسال ، وتنتهي بتأدية الصلاة وإليك البيان :

---

(١) « وكان الصابي على دين الصابئة – انظر هذه الكلمة – متشدداً في دينه ، وقد ألح عليه عز الدولة بأن يسلم فلم يفعل. وكان يصوم شهر رمضان مع المسلمين، ويحفظ القرآن أحسن حفظ » دائرة معارف وجدي ص ٥/٤٣٢

الطهارة

لا تصح الصلاة عند الصابئة بدون طهـارة ؛ مثلهم في ذلك كمثل بقية الأمم المتمدنة ؛ وهذه الطهارة تفرض على الذكر والانثى على حد سواء ، وكما تمنع الجنابة من إتيان الصلاة ، ومن تأدية الفروض الدينية ، عندنا معاشر المسلمين ، كذلك تمنع عندهم من تأدية الصلاة .

أما غسل الجنابة فمشروط عندهم أن يكون بالماء الحيّ ، وهو الماء غير المنقطع من مجراه الطبيعي . فماء الحمام مثلا في نظرهم ليس بحيّ لانقطاعه عن مجراه (١) كما انهم يشترطون غسل الجنابة قبل أن يأكل المجنب ، أو يشرب ، أو يدخّن ؛ أما كيفيته فهو الارتماس في الماء الحي ثلاث دفعات ، من دون تلاوة شيء ما ، عدا نية الاغتسال من الجنابة ، إذ لا تجوز القراءة لمن كان على جنب .

ولكن الغسل وحـده لا يكفي عند الصابئة لإقامة الصلاة ؛ على نحو ما عند المسلمين ، فلا بدّ من ضم الوضوء اليه ، وهو يجري عقب الغسل بأوضاع خاصة .

الوضوء

يشدّ المتوضىء حزامه ، ثم يجلس على النهر متجهاً نحو الجدي ، ويتلو الرخصة (النية) بلغتهم المندائية فيقول ما معناه :

« السلام عليك أيها الماء الجاري من تحت عرش الرب الذي يحيى بك كل مافي الارض » (٢)

---

(١) لما كانت ظروف الصابئة المعاشية اضطرتهم إلى الانتقال من القرى والبلدان ، القائمة على ضفاف الأنهر ، إلى التي لا ماء جار فيها ، فقد جوز علماؤهم مؤخراً الاغتسال بمياه الحنفيات على أساس انها متصلة بخزانات متصلة بمياه جارية في الأنهر ، والسواقي ، والآبار النابعة ، كما جوزوا جلب الماء الحي من بعيد ، وصبه على الجنب للاغتسال من الجنابة .

(٢) وهذا هو النص بالمندائية :

« بشيهون أدهيي ربي اسوتاوزكوتا نهويلك ياأب أبوهن ملكا بوياويس يردنا ربا أدمياهيي »

ثم يشرع في الوضوء مبتدءاً بغسل اليدين ، وهو يقول ما محصله :

(غسلنا أيدينا المفتوحة بالايمان، ناطقين بنطق صحيح، وقلبٍ مؤمن بعنصر الأنوار)

ثم يغسل وجهه ثلاث مرات، بأن يغترف الماء من النهر ويصبه عليه وهو يقول :

(تبارك اسمك وسبحان اسمك ربي الحي ، تجري هذا وتكوّنه من نفسك دون أن يعلم أحد بذلك)

ثم يبلّ يده في الماء، ويجمع أصابع يده اليمنى، ويمررها على جبهته، من مبدأ صدغه الأيمن حتى نهاية صدغه الأيسر ، وهو يقول ما نرجمته :(رسمتُ برسم الحياه)

ثم يدخل سبابتيه في أذنيه ويكرّر ذلك ثلاث مرات القول (أسمع صوت الحياة)

ثم يستنشق ثلاثا ويقول (أشم رائحة الحياة)

ثم يتمضمض مرة واحدة ويقول (من المغمورين تسبيحاً بالحياة)

ثم يأخذ قليلا من الماء برؤوس أصابعه العشرة فيدقّها على ركبتيه، فساقيه قائلا : (ركبتي الساجدة إلى الرب الحي)

ثم على ساقيه، مرة ثانية ،وهو يقول :

(رجلي ماشية نحو شريعة العهد والإيمان)

وبعد أن ينتهي من الوضوء يقول ما معناه وترجمته :

(رسم علي أني لست من عبدة النار ، ولا من المختنين ، ولا من المسيحيين . أمسح رسمي بماء الحياة الجاري في النهر من عالم الأنوار)

ثم يقذف ما تبقى من الماء برأسي سبابتيه ثلاث مرات؛ كأنه يطرد النجاسة عن نفسه، ويقول:

(اني فلان بن فلان أتعمد عماد بهرام رور بي، الملك الصالح من الملائكة الصالحين، تعمدني وانظرني واصعدني إلى العلى)

ثم يغسل رجليه ويقول (رجلي أياديهم السبعة والاثني عشر لا يتسلطون علي)إه

مفسدات الوضوء

أما مفسدات الوضوء فهي : البول ، والغائط ، وخروج الريح ، ولمس الحائض والنفساء ، واللحم الاجنبي ؛ وأ كل شيء ما قبل إتيان الصلاة . أما رعف الانف ، أو خروج الدم من الفم ، أو من موضع آخر من الجسم ، فإنهما لا يفسدان الوضوء ، وإنما يستلزمان غسل موضع الدم . والوضوء واجب لكل صلاة ، فلا يجوز الجمع بين صلاتين بوضوء واحد وإن كان على طهور .

الصلاة

وتقتصر صلاتهم على الوقوف ؛ والركوع ، والجلوس ، على الأرض ، من دون سجود . وتستغرق تلاوة الأذكار فيها ساعة وربع ساعة تقريباً ، وهي تؤدى ثلاث مرات في اليوم : قبيل طلوع الشمس ، وعند زوالها ، وقبيل غروبها ، أي في الصبح والظهر ، والعصر ؛ وتستحب الصلاة جماعة في أيام الآحاد ، وفي الاعياد أيضاً .

وتجري الصلاة بأن تبدأ بالأذان ، وهو عبارة عن أذ كاردينية ؛ تتلى بين الحاضر بن بلغتهم المندائية ؛ بدون رفع صوت ، وبدون الوقوف على شاهق - كما يفعل المسلمون - ويتوجه المصلي عندهم إلى الجدي دائماً ، وهو بلباسه الطاهر ، حافي القدمين ، رافعاً يديه وقايلا من رأسه ، مع إنحناء قليل ، ثم يتلو سبع قراءات يمجد فيها الرب ، ويدعوه بأسمائه الحسنى ، ويستمد منه العون والشفاء من الأمراض ، ورفع الكوارث عن ملته وتيسير الاتصال له بعالم الأنوار ، آلمي دنهوا)

وترى الصابئة (المندائية) أن فرض الصلاة كان أولا على آدم أبي البشر بسبعة فروض ، يصلي خمسة منها في الاوقات التي يؤدي المسلمون فيها صلواتهم ، وهي الصبح ، والظهر ، والعصر ، والمساء ، والعشاء ، واثنتان تؤديان في غير هذه الاوقات ، إلا أن شريعة

آدم هذه استمرت حتى ظهور يحيى بن زكريا عليه السلام ، فضمّ بعضها إلى بعض ، وجعلها ثلاثة فروض في ثلاثة أوقات ، كما هو جار الآن .

هذه هي صلاة الصابئة في الوقت الحاضر ، وقد ذكر ابن النديم ، المتوفى نحو سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥م) نوعاً من الصلاة كان يدين به صابئة حرّان ، الذين ذكرنا أمرهم في موضع آخر ، يختلف عن صلاة صابئة البطائح بعض الاختلاف . قال :

« المفترض عليهم من الصلاة في كل يوم ثلاث : أولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة ، أو أقل ، تنقضي مع طلوع الشمس ، وهي ثمان ركعات ، وثلاث سجدات في كل ركعة . الثانية إنقضاؤها مع زوال الشمس ، وهي خمس ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة . الثالثة ، مثل الثانية إنقضاؤها بعد غروب الشمس . وانما ألزمت هذه الأوقات لمواضع الأوتاد الثلاثة التي هي : وتد المشرق ، ووتد السماء ، ووتد المغرب . ولم يذكر أحد منهم ان من الفرض صلاة لوقت وتد الأرض . وصلواتهم النافلة ، التي هي بمنزلة الوتر في لزومه للمسلمين ، ثلاث في كل يوم : الاولى في الساعة الثانية من النهار ، والثانية في الساعة التاسعة من النهار ، والثالثة في الساعة الثالثة من الليل . ولا صلاة عندهم إلا على طهور »[1]

ومثل ذلك ما أثبته « إبن العبري » المتوفى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦م) إذ قال :

والمفترض عليهم ثلاث صلوات : أولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل لتنقضي مع الطلوع ، ثماني ركعات في كل ركعة ثلاث سجدات ، والثانية انقضاؤها مع نصف النهار والزوال ، خمس ركعات في كل ركعة ثلاث سجدات ، والثالثة مثل الثانية تنقضي مع الغروب »[2]

---

(١) ابن النديم في « الفهرست » ص ٤٤٢-٤٤٣

(٢) ابن العبري في « مختصر تاريخ الدول » ص ٢٦٦

التعميد وانواعه

« التعميد » طقوس ورسوم خاصة يكتسب بها الشيء المعمّد صفة دينية مقدسة، فالطعام مثلا يحلّ بعد التعميد ، والطفل يطهر به ، والمذنب يكتسب الغفران بواسطته ، والآكل من ذبيحة غريب ؛ أو من لحم محرّم ، يحل إثمه عن طريق إجرائه ، وهكذا القول في أحوال كثيرة غير هذه . فهذه الصفات الجديدة إنما اكتسبها الاشخاص ، واتصفت بها الاشياء بواسطة التعميد . وهو لا يكون إلا في الماء

ولما كان الماء أساس الحياة عند الصابئة – كما هو عند بقية الأمم والطوائف الاخرى – فإن طقوس الصابئة الدينية ؛ ورسومهم الاجتماعية لاتتم إلا بالارتماس في الماء الجاري . وهم يلجأون إليه في ثلاث حالات : في الرشامة ، والطماشة ، والمصوتا .

أما « الرشامة » فهي وضوء الصابئي قبيل طلوع الشمس ليؤدي فريضة الصلاة دون أن يستعين بمؤمن أو بغيره ، نظير ما يفعله المسلمون في صلواتهم ، وقد سبق وصفه عند البحث عن « الصوم والصلاة » عند الصابئة فلانعود إليه في هذا الفصل .

وأما « الطماشة » فهي الطهارة بالارتماس في الماء الجاري ثلاث دفعات متتالية دون الاستعانة بمؤمن ما أيضاً . وهذه الطهارة واجبة على الحائض ، والنفساء ، والجنب ، وعلى من لمس أحداً من هؤلاء ، أو مسّ أجنبياً ، أو ساهم في قبر ميت ، أو خرج من سجن ، أو رجع من سفر ، أو أبلّ من مرض ، أو أكل من لحم محرّم ، أو إذا نهشته حية ، أو لسعته عقرب ، أو لدغته إحدى الهوام ، أو إذا عضه كلب أو خنزير أو ذئب فأدماه . ففي جميع هذه الحالات يجب عليه أن « يطمش » في الماء الجاري سواءا أكان الوقت صيفاً ام شتاء؟ ، كما يجب عليه أن « يطمش » أيضاً عند إستقباله كل عيد من أعيادهم القوميه . وتستحب « الطماشة » عند استقبال أيام الآحاد أيضاً .

ولما كانت أحوال الصابئة المعاشية أوجبت تفرقهم في المدن والقرى المختلفة ، بعد

أن كانوا متجمعين في دساكر وأرياف متلاصقة ، وكان الماء الجاري لا يتوفر في المدن والقرى التي استوطنوها مؤخراً، فقد أجاز رجال دينهم الاغتسال في الحمامات كما أجازوا لهم الاستعانة بمياه العيون النابعة لتحقيق هذه « الطماشة »

وأما المصوتا Muswatta « وهو التعميد المعروف » فيشترط فيه أن يكون على أيدي المؤمنين، وفق رسوم خاصة وآداب مقررة ، وهو لا يجري إلا في أيام الآحاد، دون غيرها من أيام الأسبوع ، وفي أعيادهم القومية ، ولا سيما في عيد البنجة ، وهذا التعميد أربعة أنواع :

١ – عماد الولادة ٢ – عماد الزواج ٣ – عماد الجماعة ٤ – عماد الأعياد

وسنبحث عن كل نوع من هذه الأنواع الأربعة بقدر ما وصل إليه علمنا القليل ، وتحرينا الدقيق .

١ – عماد الولادة

إذا ولد المولود وجب على ولي أمره ، أو أحد أقاربه ، أن يخبر « المؤمن » المختص بيوم ولادته ، وبساعة الولادة ، ليعين له الزمان والمكان ، والنجم والطالع ، والبرج والمنزلة التي ولد فيها ، ويثبت له – مع مقارنة هذه الأمور – إسماً يدل عليه برجه ومنزلته السماوية . ويكون هذا الاسم منسوباً إلى اسم والدة الطفل ، لا إلى اسم أبيه، ومحفوظاً للوليد وبلغتهم المندائية ، ولا يستعمل إلا في ثلاث حالات : في التعميد والزواج ، والوفاة[1] . وإلى هذا الاسم الديني يسمونه باسم آخر تقتضيه البيئة التي يعيشون فيها . ففي البلدان العربية يسمونه باسم عربي ، وفي غيرها من البلاد يسمونه بأسماء تلك البلاد . فبين صابئة البطائح اليوم من يسمى عبد الله ، وعبد الجبار ، وعبد الرزاق ،

---

(١) « وأغلب الأحيان يكتبه على ورقة ويسلمها بيد الطالب المذكور ليأتي بها يوم تعميد الولد » المشرق البيروتية ٩٢٧/٤ لسنة ١٩٠١م

وتوفيق ، وفاضل ، ورشيد ، إلى من يسمى فرحان ، وغضبان ؛ وبهرام ، وشيت ، ويحيى ، ومسلم .

فإذا مرّ على المولود خمسة وأربعون يوماً ، وجب أن يعمد بعماد الولادة ، فيصبح الطفل طاهراً من دنس الولادة . ذلك أن تذهب به أمه إلى عالم من درجة (كنزبرا) أو من درجة (ترميده) فينطلق بها إلى النهر ومعه مؤمنان : أحدهما من درجة «ترميده» والآخر من درجة « حلالي » وبعد أن يلبس الجميع لباس الاعتماد المعروف بالرسته



« تعميد » طفل صابئي عند « المندي »

يتوضأ المؤمن ، ويصلي على رأس الطفل صلوات يستنزل بها عليه بركات الاعتماد ، ثم يضع خاتماً من الآس الاخضر في خنصر يد الوليد اليمنى ، يسمونه «إكليلة» ويدخل في الماء الجاري إلى ركبتيه ؛ وبيده عصا من عود الآس أيضاً تسمى مركنة «Marqana» فيتبعه الحلالي حاملا الطفل ، ويخوض في الماء إلى ركبتيه أيضاً ، حتى يقف خلف المؤمن ؛ ويكون الجميع متجهين نحو الجدي ، وعندها يشرع المؤمن في تلاوة نصوص مندائية ، مستخرجة من كتبهم المقدسة ، ثم يغترف حفنة من الماء ويصبها على الحلالي

(حامل الطفل) بثلاث وجبات قائلا للطفل بلغتهم المندائية ما معناه :

« أعمدك باسم الثلاثة : الله ومندايي ويحيى يوحنا . أعمدك معموذية بهرام العظيم ابن روربي لتكون معموديتك حارسة لك ، ورافعة إياك إلى العلاء »

ويخرج المؤمن من النهر فيعقبه (الحلالي) ويتبعهما (الترميده) فيستل الخاتم الاخضر من خنصر الطفل ، ويضعه على جبينه ، ثم يتناول مقداراً من البخور فيلقيه في مجمرة معدّة لهذا الغرض ، ويتلو أثناء احتراق البخور أدعية خاصة ، ثم يتناول بضع حبات من السمسم المقشر ، المحفوظ في كيس خاص ، ويصب عليها قليلا من الماء (يغترفه من النهر أثناء وجوده فيه ، ويضعه في قنينة من الزجاج) وبعد ان يلتّه بأنامل يده اليمنى ، يضعه على جبين الطفل ثلاث مرات وهو يقول ما معناه :

« لقد وُسمت بسمة الحياة . اسم الحياة ؛ واسم معرفة الحياة مذ كوران عليك »

وينحني « المؤمن » على قلب الطفل فيهمس فيه بعض الأسماء السرية ، ويذكر كل اسم على كل عقد من عقود أصابعه الخمسة (١) ثم يرفع ذؤابة لباس رأسه ، ويضعها على كل من عينيه مرات عديدة ، ويقبلها ستين مرة فيصبح الطفل بعدها معمداً ، وعندئذ يرفع « الترميده » الخاتم عن جبين الطفل ويضعه على شفتيه ؛ ثم على جبينه مرة ثانية ، ثم يلقيه في الماء ؛ وعندها تنتم رسوم الاعتماد فتأخذ الأم ولدها وتعود به إلى دارها ، وينصرف « المؤمنون » الذين قاموا بالتعميد إلى أشغالهم الخاصة (٢)

---

(١) « وهذه الأسماء لا تذكر لأحد حتى ولا للصابئة ، وإذا قلد الكاهن رتبته يقول له مقلده الوظيفة ، حينما يصل إلى تعليمه هذه السنة من ديانته : وعليك الآن ان تطهر الأسماء التي هي مذكورة في هذه الصفحة لوقت الحاجة . فيجتهد المرشح لحفظها على قلبه بدون التلفظ بها »

المشرق ٩٢٩/٤

(٢) « وإذا توفي المتعمد في أثناء العماد ، فإما أن يتمم الكاهن السنة إلى آخرها على الميت ، وإما ان يؤتى واحد من المندائية يشبه اسمه اسم الميت ، وينهي عليه تتمة الحفلة الدينية »

المشرق ٩٢٩/٤

٢ – عماد الزواج

وهو الرسوم الدينية التي تجري للزوجين العروسين عند عقد المهر ، الذي يشترط أن يتم القران في يومه ، وقد شرحنا ذلك في الفصل القادم شرحاً كافياً وعلى القارئ أن يتأمله، ويتدفق مافيه من أهداف وأغراض دينية بعيدة الغور .

٣ – عماد الجماعة

فرض على الصابئي أن يتعمد في كل عيد پنجة « Punja » من كل سنة كبيسة، على غرار عماد يوحنا المعمدان ، ومدة هذا العيد خمسة أيام تقع في الأيام العشرة الاولى من شهر نيسان الغربي عادة ؛ وهو العيد الذي جرت العادة فيه أن يلبس رجال الدين الألبسة البيض ، وأن يمشوا حفاة في الازقة والطرقات ، وأن يرتمسوا في الماء الجاري ثلاث دفعات قبل تناول الطعام في كل يوم من أيامه الخمسة . ويشمل هذا الإجراء أبناء الطائفه كافة ؛ رجالا ونساء ، كباراً وصغاراً ، لأن القصد منه التكفير عن الخطايا والذنوب التي يكون الصابئي قد ارتكبها في بحر السنة المندائيه عمداً أو بغير عمد

ويجري هذا التعميد بأن يذهب الصابئي إلى رئيسه الروحاني « الكنزبرا » ويعرض عليه رغبته في إنجاز هذا الواجب الديني، فينطلق به هذا إلى النهر ، ومعه مؤمن من درجة (ترميده) وأدوات الاعتماد وهي : الرسته والبخور والمركنة (Marqana) وخواتم من الآس الأخضر، وكانونان صغيران (طريانتان) من الطين الحر ، وكاستان صغيرتان من النحاس الأصفر ، وقنينة من الزجاج . وعند بلوغهم النهر يلبسون الرداء الديني (الرسته) وبعد أن يتلو المؤمنون الرخصة (النية) بلغتهم المندائية يلبس الكنزبرا طالب التعميد إكليلا من عود الآس الاخضر في خنصره الأيمن، وينزل إلى النهر ويغوص فيه حتى الركبتين ، ثم يقرأ بعض الأوراد والأدعية المستخرجة من كتبهم المقدسة، ويدعو طالب التعميد إلى الدخول في الماء خلفه، ويوعز إليه بالارتماس

في الماء ثلاث دفعات متتالية، وهو يغترف الماء ويرشه عليه، ويسأله في أثناء ذلك عن اسمه الديني، واسم أمه، فإذا أتم الارتماس، أصبح الرجل معمداً، وخرج من النهر، فبخر، ودهن بدهن السمسم، وأطعمه رئيسه قطعة من (اليهثة) وسقاه شيئاً من ماء (المهبولا) فيهب المتعمد رئيسه ما تسمح به يده من مال وينصرف

وقد اباحت الشريعة الصابئية تعميد أبناء الطائفة في أيام البنجة ليلا ونهاراً في حين ان التعميد في سائر المواسم والاعياد لا يجوز إلا نهاراً، وفي أيام الآحاد فقط. دون بقية أيام الاسابيع الاخرى.

٤ – عماد الأعياد

لما كان للصابئة أربعة أعياد قومية معروفة وهي: العيد الكبير، والعيد الصغير وعيد البنجة، وعيد يحيي، فقد حتمت الشريعة المندائية على كل صابئي أن يتعمد في هذه الاعياد الاربعة ولو مرة واحدة في حياته. وليس من الضروري أن يجري تعميده في هذه الاعياد بالتسلسل، وإنما عليه أن يتعمد فيها كلها، ولو في سنوات متفاوتة. أما المؤمنون فعليهم أن يتعمدوا في كل عيد من هذه الأعياد عند حلولها.

إن من متممات التعميد، الذي يجب أن يجري في أعياد الصابئة (المندائية) نصب ال (إدر بشا اديهي) أي علم يحيى سواء أكان طالب التعميد عالما دينيا أو شخصا عاديا، على حين ان التعميد في سائر أيام السنة لا يتطلب إحضار هذا العلم ولا نصبه

تعميد المؤمنين

يعمد رجال الدين عند الصابئة، كما يعمد سائر أفرادهم، إلا انه يتوجب إحضار علم يحيى، ويسمونه (أدر بشا إديهيه) عندما يجري تعميد أحد المؤمنين، وهذا العلم عبارة عن عودين كبيرين نظيفين، يربطان إلى بعضهما على هيأة الصليب، وتنشر عليهما

كسوة من القز الابيض يقولون أن فيها اشعاعاً مقدساً [1] فإذا انتهى الغرض من استعمال هذا العلم، طوي وحفظ في دار (الكنزبرا) ولا يجوز فتحه مرة ثانية إلا في المناسبات المنصوص عليها شرعاً، مثلاً عندما يشيع أحد المؤمنين إلى مرقده الأخير.



« مؤمن » يعمد « مؤمناً » وأمامه « علم يحيى »

(١) « يعتقدون ان الشيء المضيء في الشمس او القمر هودربشا ادبهيه، مشابه لما يستعملونه، وعند المغرب يطوى من الشمس فتغيب، ويفتح في القمر فيشرق »

الاستاذ عبد الجبار عبد الله الصابئي في كتاب « العراق في القرن السابع عشر » ص ١١١

ومما يتصل بالتعميد اتصالا مباشراً ، ولا يجوز أن ينفصل عنه ؛ توزيع قطع البهثة ،ومياه المبولا على المتعمدين كافة .

والبهثة قطعة من الخبز الفطير ، يمنحها المؤمنون إلى كل من يتعمد على أيديهم من أفراد طائفتهم ، ذكراً كان أم أنثى ؛ صالحا أم طالحا ، لتقيه شر الخطوب والآلام زمنا ما .

وتحضّر هذه البهثة علَى نحو خاص وذلك بأن يأتي أحد أبناء الطائفة بمقدار من طحين البرّ في يوم الاعتماد ، فيهيله على كفّي الترميده من علو معلوم ، فينطلق هذا به إلى النهر الجاري ، ويغترف منه ما يكفي لعجن الطحين المذكور ، من دون خميرة ، ثم يخبزه على هيأة أقراص مستديرة بحجم الريال العراقي على كانون مجمر ، فتعطي إلى كل من يتعمد ، ويعطى معها قليل من ماء محفوظ في قنينة تملأ من الماء الجاري ، أثناء عملية التعميد ، يسمونه (ممبولا) .

ويجب أن تستعمل أقراص البهثة ومياه الممبولا في اليوم الذي تحضّر فيه ، لأن بقاء شيء منها إلى اليوم التالي ، يفقده مفعوله المقدس . أما إذا فاضت هذه الأقراص عن الحاجة ، فتعلق في شقوق الجدران المرتفعة ، سواء أكان ذلك في معبدهم (المندي) أو في دار رئيسهم الديني .



الزواج عند الصابئة

أحكام عامة

يرى الصابئون « المندائيون » أن العزوبة خطيئة لا تغتفر ، وأن الزواج فرض على كل من استطاع إليه سبيلا ، ومن توفرت لديه أسبابه ، وتخلف عنه ، فقد حرم نفسه من نعيم الآخرة مدة من الزمن . وإذا مات مؤمن قبل أن يتزوج ، أو توفي من دون نسل ، فإنه – بعد انتقاله إلى آلمي دنهورا « أي عالم الأنوار » – يجب عليه أن يتقمص ثانية ، ويصير أبا ذا أولاد ، لأن تخليف النسل واجب ديني . أما من كان معدماً ، فقد حتمت الشريعة « المندائية » على الموسرين تيسير أسباب الزواج له .

وقد أباحت الشريعة المندائية للصابئي أن يتزوج ما طاب له من النساء : مثنى وثلاث ورباع وخماس وسداس وسباع ؛ متى تعهد أن يساوي بين زوجاته مساواة فعلية لا كلامية ، وحقيقية لا صورية ، على أن لا يجمع بين الاختين بصورة مطلقة ، وأن لا يقرب غير صابئية ، لأن الصابئي لا يكتسب الصفة الصابئية إذا لم يولد من أبوين صابئيين ، ولهذا فهم لا يسوّغون زواج الصابئية بالأجنبي ، ولا زواج الصابئي من أجنبية لئلا يختلط الدم ، ويضيع النسب . فإذا نكحت صابئية أجنبياً فإنها تعد خارجة عن دينها ، ولا تقبل لها توبة ولا ردّة ، والعكس بالعكس

أما المحرمات من النساء عندهم فهن اللاتي حرمتهن الآية الكريمة على المسلمين وهي:

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَاخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَامَّهَاتُكُمُ اللاّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَاخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَرَبَائِبُكُمُ اللاّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ

وان تجمعوا بين الاختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيما) (١)

وأما الطلاق فغير مسنون عند هؤلاء القوم ، أو هو مكروه ، غير ان الشرع أباح للصابئي أن يهجر زوجته – على نحو ما تفعله النصارى – متى أقام البينة على أسباب الهجر . وتتلخص هذه الأسباب عندهم في الأمور الاربعة الآتية :

أ – ثبوت الزناء

ب – عدم الاغتسال من الحيض

ج – ترك الصلاة

د – ثبوت السرقة

وقد يضطر بعضهم إلى الطلاق ، ولكنهم يشترطون فيه أن لا يكون على أيدي روؤسائهم الروحيين ، بل عليهم مراجعة هؤلاء الروؤساء لعرض ما لديهم من أدلة وبراهين ، وعلى الرئيس الديني أن يرسل من يصر على تطليق زوجته إلى المحاكم الشرعية الإسلامية ، فتبت فيه في ضوء الأسباب الاربعة المثبتة فويق هذا ، ثم يثبته هو بصفته الروحية ، حتى إذا أراد المطلق أن يعيد النكاح على مطلقته –وهو ما أباحته شريعته– مكنه الروؤساء المذكورون من ذلك تحت شروط خاصة أهمها التوبة ، والاستغفار ، وتجديد سنن الزواج ، وآدابه .

أما المهجورة فليس لها أن تتزوج حتى يموت هاجرها ، فتنفصم العرى الزوجية بينهما ، أما إذا ماتت هي قبله فإنها تعود إليه كزوجة شرعية في الدار الآخرة .
ولا تقتل الزانية شرعاً لأن الحدود الشرعية لا تقام على الصابئة في هذه الدنيا الفانية ولكنهم يقتلونها أحيانا متأثرين بعادات مجاوريهم من المسلمين .

وعلى المطلقة أن تعتد عدة الطلاق ، وهي ثلاثة أشهر . مثلها في ذلك مثل التي

---

(١) سورة النساء الآية : ٢٣

فقدت بعلها ، ولا تستطيع أن تنكح زوجاً آخر إلا بعد انقضاء هذه المدة .

أما الأرملة فلها أن تتزوج بعد العدة المذكورة أيضاً، إذا تهيأ لها من يتزوجها ، ولكن النسل منها، ومن المطلقة ،لا يستطيع أن ينخرط في سلك رجال الدين إلى ثلاثة أظهر

وللصابئة في الزواج طبقات يتميزون بها ، فلا يجوز لأحدهم أن يتزوج من طبقة أعلى من طبقته ، وإن جاز لرجال الدين أن يتزوجوا من طبقات هي دون طبقاتهم، كما كانت عادات الرومانيين قديماً ، وكما هي عادات اليزيديين حديثاً ؛ أي ان لكل طبقة أن تتزاوج فيما بينها، خلافاً لقاعدة « المؤمن كفوء المؤمن » المتبعة عند المسلمين .

أما القائمون برسوم الزواج وسننه فهم رجال شريعتهم الذين يجب ان يكونوا قد تعمدوا مرتين على الاقل من قبل وهؤلاء صنفان : يسمى الاول « الكنزبرا » وهو الذي يعقد مهر العذارى دون الثيبات [1] ويدعى الثاني « الابيسق » — بالتصغير — وهو « الترميده » الذي حرم نفسه كثيراً من الحقوق المدنية التي يمارسها زملاؤه « الترامده » ووقفها للعقد على الثيبات .

ويكره عقد النكاح في شهر شباط لانه من الاشهر النحسة ، التي لا يصادف الزوجان فيها السعادة المأمولة؛ ويسمون هذا الشهر « أول القيظ »

---

(١) روى السيد عبد الحميد عبادة في رسالته « مندائي » ص ٣٧ ان عالماً من درجة كنزبرا إعتمد على « امرأة من افراد عائلته للفحص على امرأة ليعقد لها فأخبرته انها بكر وعقد لها ، فذهبت إلى زوجها ،وبعدمرورستة أشهر ، ولدت ولداً تام الخلقة ، فظهر من ذلك انه عقد لها ، وهي ثيب حامل ، وبما انه عالم من درجة كنزبرا علم انه قد ارتكب خطيئة عظيمة وذهب إلى العلماء الذين لا يقربونه نسبا من علماء المحمره ، وناصرية العجم ، وغيرها وأخبرهم بالقضية فأمروه بإكثار التعميد وانه يبرء من هذه الخطيئة ، فتعمد ٣٦٠ مرة على عدد الأشخاص السماويين وعاد إلى وظيفته العلمية كنزبرا » اه

الخطبة والمهر

والمتبع في عقد النكاح هو ان الراغب في الزواج، بعد أن يعين الفتاة التي يهواها هو، ويتأكد من بتوليتها، يكلف أهله فيرسلون احد معارفهم إلى دار تلك الفتاة لمفاتحة أهلها بأسلوب رقيق، حتى إذا ضمن موافقتهم الاولية، أرسلوا في اليوم التالي عالما من درجة « كنزبرا » فيخطبها خطبة اصولية؛ ويقرّر المهر الذي يكون في الامكان تأديته، فإن لم يجدوا (كنزبرا) استعاضوا عنه بأحد صلحاء الطائفة، وعندها لا يسمح للخطيب أن يجتمع بخطيبته حتى يحين يوم الزواج.

ويختلف هذا المهر باختلاف أحوال الرجل المالية، واموره المعاشية، فقد يكون عشرة دنانير، وقد يكون مئة دينار. وهو يفرض على الخطيب مقدما ومؤخراً، ويجوز أخذه في وقت واحد، كما تجوز كتابة صك به، إذا لم يكن ميسوراً، أو كان الخطيب معسراً. هذا اذا كان الطرفان صالحين ليس في أقاربهما شائبة في الجسم، أوفي العرض، وإلا فالمبلغ يزيد زيادة فاحشة، تعويضا عن الشائبة، وفي جميع الاحوال يشترط تجهيز الخطيبة بما تحتاج اليه من رداء و كساء، الى بعض الحلي التي تناسب حالة الطرفين.

ويقول شيوخ الصابئة ان المهر لم يكن من سننهم الاجتماعية، وانما أخذوه عن مواطنيهم من المسلمين اخذاً، ولهذا فإن بين المتمولين من لا يقبل مهراً لابنته، مهما بلغ، وانما يهبها لخطيبها هبة اذا وجده كفوءاً وأهلا لها، وقد يغرق في مساعدة صهره فييسر له نفقة الزواج ايضا.

البكارة

فإذا تمّ الاتفاق على الخطبة والصداق « المهر » زفت العروس إلى دار الرئيس الديني « الكنزبرا » الذي سيشرف على تعميدها لتفحص من قبل والدته أوزوجته، أو

إحدى معارفه ، بغية التأكد من أنها بكر لم يمسسها أحد بسوء[1] فإذا جاءت النتيجة سلباً ، وجم القوم ، وخيّر الخطيب بين الاستمرار في إتمام الخطبة وبين فسخها ، فإن رأى استمرارهـا ، أحضر «الايبسق» ليقوم مقام «الكنزبرا» في تلاوة نصوص مستخرجة من (كتاب القلسته) وهو كتاب الفرح أو الطرب الخاص بسنن الزواج ورسومه ، لأن العقد على الثيبات من اختصاص (الايبسق) كما قدمنا ، وإن رغب عنها ؛ وقف كل شيء عند حده ، وانصرف كل واحد إلى شغله ، أما إذا تحققت البكارة فإن زغاريد النساء تملأ أجواء الفضاء ، وعندها يتأكد (الكنزبرا) من الخطيبة من أن الخطبة قد تمت برضاها ، دون جبر ولا إكراه من والديها ، وإنها ليست في حيض ، ويعين لها يوم التعميد والزفاف ، بعد الرجوع إلى (الملواشه) وهو الكتاب الخاص بمعرفة الطالع .

أما السبب في التشدد في أمر البكارة فهو الإبقاء على الفتيات متهيبات حذرات .

التعميد

ولما كان الماء أساس الحياة[2] كان لا بدّ من إجراء رسوم الزواج في وسطه ، سواء أكان الفصل صيفاً أو شتاء ، وهو ما اصطلحوا عليه بالتعميد ؛ أو الاصطباغ ، وهذا هو السرّ في أنهم لا يسكنون مدينة أو قرية لا يكون فيها نهر جار .

أما كيفية ذلك فهي أن تزف الخطيبة إلى دار خطيبها ، في اليوم المعد للدخول فيها ، ويشترطون أن يكون ذلك في يوم الأحد من أي أسبوع كان ، عدا الاسبوع الذي يقع فيه عيد البنجة (Punja) فيذبح أحد الأصدقاء ديكاً عند قدمها اليمنى ؛ كفدية لها ؛ وبعد استراحة قصيرة تذهب الخطيبة ، ومعها أمها ، وسائر من يصحبها من

---

(١) «وفي الوقت الحاضر يعمد بعضهم إلى استحصال تقرير طبي من طبيبة أو ممرضة رسمية» الاستاذ عبد الجبار «الصابي .» في كتاب (العراق في القرن السابع عشر) ص١٥٩

(٢) «وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» سورة الانبياء : الآية ٣٠ »

أقاربها ، إلى دار معروف لهم تكون قريبة من النهر الجاري، أو إلى بستان قائمة على النهر؛ حيث يكون في انتظارها عالمان من درجة (ترميده) وفقيه من درجة (كنزبرا) فإن لم يكن هؤلاء في البلد الذي يجري الزفاف فيه ، سافر الخطيبان إلى حيث يقيمون أو استدعياهم إلى حيث يقيمان هما .

ويخلع رجال الدين ألبستهم الاعتيادية ، ويلبسون الألبسة الخاصة برسوم



« الكنزبرا » الشيخ عبد الله بن الشيخ سام يعمد العريس بعد مرور سبعة ايام على زواجه ويعمد القدور والأواني التي استعملت خلال هذه الأيام السبعة

التعميد (أي الرسته) ثم يمسكون عصيهم المتخذة من شجر الآس ، ويسمون الواحدة منها مركنة(Margana)ويضعون في خناصر أيديهم اليمنى خواتم من عود الآس الأخضر (يسمون الواحد منها إكليلة) وبعد أن يتوضأوا في النهر الجاري (وهم حفاة مستقبلين الجدي) يشرعون في قراءة الفاتحة (ويسمونها بيني رهمي) فتستغرق

قراءتها نحو نصف الساعة، ثمّ تتقدم الخطيبة فتستبدل ثيابها بلباس (الرستة) وبعد أن يتأكد (الكنزبرا) من أن لبسها تمّ كاملا، حسب الأصول الشرعية، يضع في خنصرها الـ(اكليلة) ويلقنها بعض العبارات باللغة المندائية، ويكون أحد (الترميدين) قد نزل الى النهر، وبيده (مركنته) وغاص فيه حتى الركبتين، فيشرع في قراءة بعض نصوص مستخرجة من كتاب (القلستا) الخاص برسوم الزواج وسننه، ثم يستدعي الفتـاة المخطوبة فتنزل في النهر وتجلس على ركبتيها إلى يمين (الترميدة) ويأمرها هذا فتغطس فيه ثلاث غطسات، وهو يرشّ الماء عليها ثلاث دفعات، ثم يمسكهـا من رأسها، ويلامس جبينها سطح الماء، ويمرر أصابع يده اليمنى على جبينها ثلاث مرات، وبعد أن يطهر يديه في الماء، يغترف مقداراً منه بكفه اليمنى فيسقيهـا ثلاث جرعات، ويتلو عليها أثناء ذلك آيات بركات الاعتماد، ثم ينزع إكليله من خنصره، ويضعه تحت عمته، ويأمر الخطيبة فتخرج إلى المكان الذي جاءت منه، وتجلس إلى وعاء من الطين الحرّ يسمونه «طريانه» فتتبخّر بالبخور المشتعل في «الطريانه» ويتبعها (الترميده) فيخرج بعد أن يكون قد ملأ قنينة من الزجاج بالماء، أثناء وجوده فيه، ليقرأ عليها شرعة النكاح، ويطعمها قطعة من (البهثة) ويسقيها قليلا من ماء المحبولة الذي في القنينة ويدهن جبينها بدهن السمسم، ويرمي إكليلها في النهر، ثم يعود وإياها مرة ثانية إلى النهر، ويجري عليها ما أجراه أولا، سواء ما كان منه قبل الدخول في النهر أو بعده، وبذلك يتم تعميدها، فتستبدل حلتها المبتلة بأخرى يابسة، وتخرج وبيدها مصباح إشارة إلى كونهـا عروساً معمدة لا يجوز مسها، لأن لمس العروسين خلال الأيام السبعة الاولى مـن العرس ينجسها، وتذهب تواً إلى حجرة خاصة تسمى (حجله) وتكون فيها ناموسية بيضاء تدعى (الكلة) فتجلس تحتها في انتظار خطيبها وهي على أحر من الجمر.

ويجب أن يحضر جميع هذه الطقوس فتى، هو عادة ابن أحد المؤمنين، أو أحد أنجال اخوته؛ فإن لم يكن لهذا المؤمن ابن أو ابن أخ، جيء بهذا الفتى من الخارج على أن يكون نظيفا – أي من عائلة غير معتلة – ومعمداً، ليشهد ان الطقوس قدتمت حتى الآن بصورة صحيحة. ويسمى هذا الفتى (الاشكندي)

أما الخطيب فإن (الترميده) الثاني يعمده كما عمد زميله (الترميده الأول) خطيبته، لأن الواجبات الدينية هي على الذكر والانثى سواء في نظرهم. فإذا ما انتهى من ذلك استبدل (رستته) المبتلة بأخرى يابسة، وعلق في سفيفتها (الاسكندولة) التبقى معلقة بحزامه مدة سبعة أيام[1] واستعد للدخول في (المجلس) المشيد خصيصا لاتمام



«الاسكندولة» التي يحملها العريس مدة سبعة الأيام الأولى من عرسه

صيغة المهر، وخلال هذه الفترة لا يجوز له أن يأكل أو يشرب أو يدخن؛ لا هو ولا خطيبته، حتى يفرغا من عملية (قطع المهر) فان عطشا، إستأذنا (الكنزبرا) ليسمح لهما بشرب الماء من النهر، وإن جاعا أكلا من طعامه ما يسدا به الرمق. أما (الكنزبرا)

---

(١) «الاسكندولة» كلمة مندائية معناها «سكين الدولة» وتطلق على خاتم بحجم «الريال» نقشت عليه صور الحية، والعقرب، والاسد، والزنبور، فترمز الحية إلى «الأور» والعقرب الى «سركي وسركاني» والاسد الى «اشدوم» والزنبور الى «كاف وكافاني» وكل من هؤلاء روحاني من عالم الظلمة. ويقول المندائيون ان شعار دولتهم قديما كان هذه «الاسكندولة»

و (الترميدان) فانهم يستبدلون (رستانهم) المبتلة بأخرى يابسة استعداداً لانجاز رسوم الزواج في المجلس المذكور .

مجلس المهر

مجلس المهر «ويسمونه أندرونا أيضاً» عبارة عن اثني عشرة شبه (حزمة) من القصب النظيف المقشر، في كل منها قصبتان ، مربوطة الى بعضها بخوص النخل الملوي على نفسه على شكل مربع متساوي الأضلاع، في كل ضلع من أضلاعه أربع شبات ، وله باب مفتوح مقابل للجدي، وفوق سطحه كلة (ناموسية) بيضاء، وفي وسطه بعض الحصر النظيفة . ثم يحضر (الكنزبرا) والترميدان والخطيب ووكيل عن الخطيبة، يسمونه (الأب)[1] وهم بألبستهم الدينية البيض (أي الرستة) وبعد أن يتلو الفقيه بعض النصوص الدينية ،وهو خارج المجلس،مستقبلا الجدي ،يوافيه أحد الصبية بسلة فيها ألبسة العريس مع ألبسة عروسه وكلتها الخاصة ،فيضع (الكنزبرا) (مركنته) فيها ليباركها ،ويحرك الصبي السلة ذات اليمين وذات الشمال، ثم يذهب بها الى حيث تجلس العروس، فينصب لها كلتها،ثم يعود ويأخذ كوزاً من الفخار الجديد (شربه) فيرميه على حجر رحى موضوع على عتبة (المجلس) فيتهشم ، وعندها يذهب أحد (الترميدين) الى النهر ، وبيده إبريق من الفضة أو المعدن الأبيض ، فيملأه ويلفه بقماش أبيض لفاً محكما بحيث لا يظهر شيء منه .

ويدخل المؤمنون (المجلس) فيتبعهم الخطيب ؛ ويمسك طرفا من عمة (الكنزبرا) ويأمر هذا بإخراج الكتب المقدسة من كيسها الخاص الأبيض ، ثم يضع الطراني (أو الطرائن) وهي ثمانية أزواج ، ويصب الترميدة (حامل الابريق) الماء على يدي (الكنزبرا) ثلاث مرات،فيرشه هذا بدوره على الطرائن ، ويخرج مقداراً من السمسم المقشر والملح المصفى، ويرشهما على الطرائن أيضاً ، كما يضع على كل طريانتين قطعة من

(١) الأب رجل من طبقة « الحلالية » المعمدين يكون سنه أكبر من سني العروسين عادة، ويتولى حسم مشاكلهما في حياتهما الزوجية .

السمك المشوي، وأخرى من البصل . ثم يؤتى بسبعة وعشرين رغيفاً من الخبز الفطير، الذي أعدّه أهل الخطيب، فيوزعها على الطرائن، واضعاً على كل زوج ثلاثة أرغفة، وجاعلاً الأرغفة الثلاثة المتبقية أمامه، ثم يمسك — وأحد الترميدين — أحد الأرغفة التي أمامه، وبعد أن يتبادل وإياه بعض العبارات المندائية يقتسمان الرغيف، ويخرج من الكيس مقداراً من الجوز واللوز والتمر والزبيب والكشمش والملح والبصل، ويعمل منه لقمتين ليعطي إحداهما الى العروس، والأخرى الى العريس فيأكلانهما كناموس للزواج، ويأمر (الكنزبرا) وكيل العروس (الأب) فيدخل المجلس، ثم يأمر الخطيب فيجلسه أمامه، ويمسكه ذؤابة عمته، ثم يشرع في تلقينهما بعض الأوراد الخاصة بشرعية النكاح، وما فيه من خير وبركة للملة، فإذا فرغوا من ذلك، صافح الأب الخطيب ثلاث مرات، وأعطى الكنزبرا كلاً منهما اللقمة التي أعدّها له كناموس للزواج، فيأكل الخطيب لقمته، ويشرب بعدها شراباً خاصاً أعد لهذه المناسبة، وبذلك يحل صومه الموقت، ويذهب الأب الى العروس فيطعمها لقمتها، ويسقيها قليلا من الشراب الذي شرب منه خطيبها، ثم توزع أرغفة الخبز على الحاضرين فيأكلونها، ويرمون ما تبقى منها في النهر .

ويعود الأب الى (المجلس) ويمسك بيده قنينة (ماء المملولا) التي كان (الترميدة) قد ملأها من النهر، أثناء عملية الاعتماد، كما يمسك الخطيب ذؤابة عمة الكنزبرا مرة أخرى وبعد تلقينهما نصوصاً دينية يطول شرحها، يصطحب (الكنزبرا) الخطيب والأب الى (حجلة) العروس، ويأمر أحد الصبية فيكسر كوزاً ثانياً على العتبة، ثم يقدم العريس الى عروسه، ويضع يده في يدها، ويحلفه أمامها بأن لايخونها ولا يظلمها، كما يحلفها أمامه بأنها لن تخونه ولن ترتكب إثماً يخجله، وعندها يجلس الخطيب وظهره على (الكلة) التي فيها خطيبته، وكذلك تفعل الخطيبة من عندها، بحيث يكون الخطيبان ظهراً لظهر، ويأمر (الكنزبرا) الخطيبة أن تنطح رأس خطيبها ثلاث نطحات، ولكن برفق، وتتلى

خلال ذلك بعض الأوراد والأذكار، ويعلن الأب بأنه قد زوّج كريمته من خطيبها، ثم يصافح صهره؛ وينتقل الجميع الى المجلس، فيجلس العريس في الوسط؛ ويقرأ (الكنزبرا) على رأسه أوراداً أخرى ثم يقرأ «مر كنته» ثلاث مرات للدلالة على أن العروسين قد استوفيا شروط العرس، وأصبحا نجسين لا يجوز لمسهما، أومؤاكلتهما، أو مشاربتهما، مدة سبعة أيام ويسمون هذه الحالة «صورثا» فإذا انتهت هذه المدة تعمدا و كافة القدور والصحون والأواني التي أكلا أو شربا فيها خلال هذه الأيام في الماء الجاري، وخالطا غيرهما من أبناء الطائفة (وإذا مات في مطاوي هذه الأيام أحد العروسين فالميت يعتبر نجساً، ويتطهر من نجاسته في المطراثي لكن لا يعد أبداً خارجا عن عداد المندائية)[1] أما الهبة التي يستوفيها القائمون برسوم التعميد وسننه، فتختلف باختلاف حالة العروسين المالية، ولكنها لا تقل اليوم عن ستة دنانير

هذا وصف دقيق لحفلة تعميد العروسين: كريم بن سكر، وبدرية بنت جثير التي أقامها الكنزبرا (الشيخ عبد الله بن الشيخ سام) والترميدان: الشيخ فرج بن الشيخ سام، والشيخ خزعل بن الشيخ باهر، في يوم الأحد الموافق ٢٧ حزيران ١٩٥٤ في (بستان الشابندر) في الكرخ من بغداد، وقد سمح لنا الشيخ عبد الله المشار إليه بحضورها، كما سمح لنا بمشاهدة تعميد عريس وعروس مرّ على عرسهما أسبوع كامل ووجب تعميدهما من جديد، ليتسنى لنا وصف حفلات زواج الصابئة وصفا صحيحا.

الحيض والنفاس

أقل مدة الحيض عند الصابئية ثلاثة أيام، وأوسطها خمسة، وأكثرها سبعة، على حين ان أقله عند المسلمين، والنصارى، ثلاثة أيام، وأكثرها عشرة، فإن استمر بعد العشرة فهو إستحاضة.

---

(١) الأب انستاس ماري الكرملي في «المشرق ٥-٣٩٦» ١٩٠٢

أما مدة نفاسها فثلاثون يوما ؛ ولا تحل للزوج مواقعة زوجته في مدتي الحيض والنفاس، حتى وإن طهرت قبل انقضائها ؛ مخافة أن يعود الدم إليها ، فإذا انتهت مدة الحيض، ذهبت إلى الماء الجاري ، وارتمست فيه ثلاث مرات بكامل ثيابها .

أما النفساء فإنها ترتمس مثل هذا الإرتماس ، بعد مضي الاسبوع الاول على النفاس ، على أن تجدده في ختام الثلاثين يوما ، وهي مدة النفاس الشرعية :

وكما لا يجوز للحائض أن تلمس أي شيء خلال مدة الحيض ، فإن الشارع يحظر على النفساء أن تخالط أحداً أو تجتمع بأحد ما خلال الأيام السبعة الاولى من نفاسها، فإذا (طمشت) بعد انقضاء هذه الفترة ، جاز لها أن تخالط الناس، ووجب تعميد كافة الصحون والأواني التي استعملتها أو أكلت فيها خلال مدة نفاسها

أما طبخ شيء ما في بيتها، أو القيام بأية خدمة كانت، فإنها من الامور المحرّمة عليها حتى تنتهي مدة نفاسها الشرعية ، وهي ثلاثون يوما ، وتتعمد اعتماد النفاس الاخير فتطهر من دنس الولادة .



أعياد الصابئة

❋ وعدد نفوسهم ، ومساكنهم ، وصناعتهم ❋

❋ الأعياد ❋

تتألف السنة عند الصابئة «المندائية» من (٣٦٠) يوماً ، وهي تقسم إلى اثني عشر شهراً، في كل شهر ثلاثون يوماً ، وتبتدىء السنة عندهم بشهر نيسان الشرقي «الرومي» وتليه الشهور على الترتيب بأسماء تختلف قليلا عن أسماء الشهور الشرقية[1]

أما بدء التاريخ عندهم فينقسم إلى ثلاثة أقسام : فبدء الخليقة وهبوط آدم أول تاريخ تضبط به السنين عندهم ، ويليه عام الطوفان ؛ الذي يعتبر الأمد الثاني لتحديد السنين ، ثم ولادة يحيى بن زكريا (ع) التي لا تفرق في المدة عن ولادة ابن خالته السيد المسيح (ع) إلا بستة شهور ، لذلك فهم يتفقون في بداية تاريخهم الأخير مع التاريخ الميلادي ؛ ويتخذون منه تاريخاً لأمورهم الدينية وشؤونهم الشخصية .

أما التاريخ الهجري فيعتقدون بصحته أيضاً ، ويستعملونه في كثير من معاملاتهم الرسمية والدينية ، نتيجة لاختلاطهم مع المسلمين من جهة ، ولأن ظهور نبي المسلمين : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم كان منصوصا عليه في بعض كتبهم المقدسة من جهة أخرى ، وهو بداية العهد الأخير الذي يحتاج إلى إصلاح .

وهم يعظمون يوم الأحد ، كالنصارى ، ويقدسونه كثيراً ؛ ويعطلون فيه أشغالهم كافة ؛ لأنهم يعتقدون بنزول (همبشبه) أحد الثلاث مئة والستين شخصاً السماويين من عالم الأنوار (آلمي دنهورا) إلى الأرض في هذا اليوم ليعمد أهل (مشوني كشطة) ولهذا

---

(١) هذه هي أسماء شهورهم : ١- نيسان ٢- ايار ٣- سيوان ٤- تموز ٥- آب ٦- أيلول ٧- تشري ٨- مشروان ٩- كانون ١٠- طباث ١١- شباط ١٢- آذار

فإنهم يسمون يوم الأحد باسم هـذا الشخص السماوي (هَمبشبه) ويقولون أنه ابن «ماري أدربوثا ليثه» أما بقية أعيادهم فهي :

١ -- العيد الكبير

ويسمى عيد (دهوه ربا) أي عيد ملك الأنوار، أو عيد (نـوروز ربا) أي عيد اليوم الجديد، أما العامة فتسميه (عيد الكرصة) إذ يكرصون (يعتكفون) في بيوتهم ٣٦ ساعة متتالية. ومدته أربعة أيام تبتدىء باليوم السابع من شهر آب من كل سنة مندائية، وتنتهي بنهاية اليوم العاشر منه (١)

وهم يسمون اليوم الأول من هـذا العيد (كنشي وزهلي) وفيه تنحر الخراف، ويذبح الدجاج، وتشجر التنانير لعمل الخبز و(الكليجة) لتؤكل خلال أيامه، ويوزع الباقي على الفقراء إما في ساعة الذبح، وإما بعد انتهاء أيام العيد مباشرة، كما إنهم يجلون

(١) رأت وزارة السيد حكمت سليمان أن تشمل «الصابئة» بعطف الحكومة فشرعت لهم قانونا بأعيادهم القومية. وقد جاء في الفقرة الاولى من قانون تعديل قانون العطلات الرسمية رقم ٧٢ لسنة ١٩٣١م، رقم ٢٩ لسنة ١٩٣٧م، هذا النص :

« تضاف الفقرتان الآتيتان إلى المادة الخامسة من قانون العطلات الرسمية :

« ٣- والأيام الآتية أيام عطلة رسمية فيما يخص الصابئة :

« أربعة أيام العيد الكبير « دهوه ربا» ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ آب

« يوما عيد الصغير ٢٣ و ٢٤ تشرين ثاني

« خمسة أيام عيد البنجة ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ نيسان

« يوم عيد النبي يحيى ٩ حزيران » إ هـ

وهذا التشريع، الذي وضع بناء على طلب رؤساء الصابئة، يجعل أعيادهم القومية أربعة لا خمسة - كما توهم البعض - وينص على تعيين مواعيدها نصاً صريحاً لا لبس فيه ولا غموض، إلا أن هذه المواعيد قد تتأخر بضعة أيام، وقد تتقدم، لأن شهورهم ثلاثون يوماً. فقد ابتدأ عيد البنجة لسنة ١٩٢٥ مثلا باليوم السابع من نيسان الميلادي، وابتدأ هذا العيد لسنة ١٩٣٢ بالخامس من نيسان المذكور، بينما وافق حلوله في سنة ١٩٥٤ باليوم الأول من نيسان الميلادي أيضاً، وهكذا القول في بقية الأعياد.

الأواني، ويغسلون الألبسة، ويهيأون كل شيء قبيل دخوله، ويستقبلونه بالارتماس في الماء الجاري ثلاث مرات، إمعانا في تطهير الأبدان من الأدران.

ويقول الصابئة إن الملاك الموكل بالماء يعرج، وسائر ملائكة الأرض، الى عالم الأنوار ليشاركوا أهله أفراحهم، التي يقيمونها في هذا العيد، فيستغرق عروجهم ١٢ ساعة، ويمكثون بينهم ١٢ ساعة، ويعودون الى هذا العالم فتستغرق عودتهم ١٢ ساعة، ولهذا يدّخر أبناء هذه النحلة ما يكفيهم من الماء خلال هذه المدة في الأوعية، والجرار ونحوها، لأن مياه الجداول والسواقي، حتى الأنهر الجارية، تكون معرضة لخطر التلويث أثناء تغيب الملاك المذكور (وصحبه) في عالم الأنوار، وهم حين يكرصون (يعتكفون) في بيوتهم ٣٦ ساعة، لا تغمض لهم عين، خشيه أن يتطرّق الشيطان اليهم، لأن الاحتلام يفسد عليهم هناءهم، ويسلبهم بهجة عيدهم، كما أنهم يحفظون طيورهم وأغنامهم ومواشيهم عند مجاوريهم من المسلمين ليعلفوها، ويحتلبوها بالنيابة عنهم، لأنهم ممنوعون شرعاً من القيام بأي عمل دنيوي في هذا العيد الكبير. فأذا عاد أحد هذه الحيوانات الداجنة الى بيته خلال هذا العيد عفواً، سقط وحرم أكله، وإذا لامس أحداً من أهل البيت وجب على الشخص المُلامَس أن يتعمد بعد انقضاء ايامه

وإذا احتضر الصابئي خلال ال ٣٦ ساعة المذكورة، فيغسل بالماء المدّخر في بيته، ويكفن، ولا يدفن إلا بعد انتهائها، وتعدّ الوفاة في مثل هذه المدة كارثة تهدد العائلة بالخطر، طوال السنة الجديدة، أما من مات فجأة بسكتة قلبية أو نحوها فلا يدفن إلا بعد انتهاء هذه المدة أيضاً، ثم يُراجع العالم الروحاني بعد انتهاء العيد ليعمل له الثواب، ويهدى كفناً باسمه إلى أحد الفقراء، وينحر لروحه خروفاً أو حمامة أو نحو ذلك.

وإذا عضّ حيوان صابئياً في بحر هذه المدة، أو نهشته حية، أو لسعته عقرب، فإنه يعزل عن أهله، ويمنع عنه الأكل والشرب والاختلاط بأحد ما، حتى إذا انتهت مدة

«الكرصة» عمدوه في الماء الجاري سبعين مرة، ليبرأ من أثر العدوان المذكور .

وبعد أن تنتهي مدة الاعتكاف بدقائق معدودات «يطمش» المعتكفون في المياه الجارية حتى إذا أسفر الصباح، خرجوا من ديارهم لمعايدة بعضهم بعضاً، مبتدئين بالرئيس الديني «الكنزبرا» ليسمعوا منه حوادث السنة الجديدة، فإن علماءهم يراجعون كتبهم المقدسة، ولا سيما سفر الملواشة «أي كتاب البروج» في مثل هـذا العيد، ليستكشفوا حوادث السنة المقبلة، وماسيقع فيهامن خير وشر، ثم يرد الرئيس الديني الزيارة لأتباعه، ويعلق على مداخـل بيوتهم أكاليل من الآس فتبقى معلقة طوال السنة، لتطرد عنهم النوائب [١]

ولهم في هذا العيد عادة تكاد تكون شائعة بين جميع الشعوب، التي تحتفل بعيد النوروز، فهم يستحضرون صحوناً من الفخار على عدد أفرادهم من الذكور، يسمونهـا طرائن [٢] ويملأونها فواكه طرية ويابسة من الخوخ والتفاح، والجوز واللوز، والفستق والبندق ... الخ، ويشعلون حولها الشموع فتبقى مشتعلة طوال الليل، دون أن يمسها أحد، فإذا كان الصباح أكلوا منها فرحين مستبشرين، ورموا الطرائن في المياه الجارية وهي فارغة .

٢ – العيد الصغير

ويسمونه (دهوه حنينه) وهو العيد الذي جمّد فيه جبرائيل الأرض بعد أن كانت غازاً [٣] ومدته الشرعية يوم واحد، والكيفية يومان، ويقع بعد العيد الكبير بمئة

---

(١) إذا حلت السنة الجديدة عند الطائفة اليزيدية، إنطلقت الفتيات إلى البراري لجمع النور الأحمر «شقائق النعمان» فيركزنه بالطين على مداخل الدور وغرفها في ثلاث بقع متساوية البعد عن بعضها بعضاً

(٢) مفردها طريانة

(٣) يعتقد الصابئة ان الله أراد أن يخلق العـالم فجعله من ماء أولا، ثم أمر جبرائيل فهبط إليه وجمده، وجعله تربة كما هي .

وثمانية عشر يوماً ، وتقدم فيه القرابين عن أرواح الموتى بابتهاج، وتقام أعمال البر والإحسان ، ويجري فيه تعميد المؤمنين، ومن شاء من المندائيين المتدينين

٣ – عيد البنجة – PUNJA

ويسمونه «دهوه پروانايا» ويستغرق خمسة أيام ، كما يدل عليه لفظه الفارسي ، وهي الأيام الخمسه التي تكبس بها السنة ، لأن شهورهم ثلاثون يوماً ، وهو يقع بعد العيد الصغير بأربعة أشهر ، ويكون غالبا في العشرة الأولى من نيسان ، وفيه تفتح أبواب



« مؤمن » يعمد جماعة من الصابئة في «عيد البنجة»

عالم الانوار (آلمي دنهورا) فتظل مفتوحة آناء الليل وأطراف النهار ، فتجوز فيه الصلاة ليلا ، في حين أنها لا تجوز في سائر أيام السنة إلا نهاراً ، ويتقبل الإله دعوات المؤمنين الصالحة في أيام هذا العيد، إن كانت خارجة من قلوب مفعمة بالايمان الصحيح .

و « البنجة » عيد ديني أكثر منه عيد بهجة وفرح ، ففيه يجري تعميد أبناء الطائفة جماعات ووحدانا ، رجالا ونساء ، على غرار عماد نبيهم يحيى (ع) ، والصابئي الذي يكون بعيداً عن رجال دينه، يتحتم عليه الشخوص إلى حيث يقيمون، ليجري تعميده

فيه ، ومواضع العبادة « أي المندي [١] » إنما تنشأ وتعمد في هذا العيد ، ورجل الدين الذي يريد أن يترقى من منصبه إلى منصب آخر أرفع درجة، إنما يجري ذلك في أيام عيد البنجة، دون غيرها من الأيام ، والمحتضر في أيامه يتمنى زهوق روحه قبل انقضائها لتمرّ في «المطراثي» من دون عذاب ولا حساب ، كما أن أهله يتمنون الوفاة له في هذا

(١) المندي هو معبد الصابئة الذي تحفظ فيه كتبهم المقدسه، وتعقد في بهوه مجالسهم الروحية، ويجري عنده تعميد رجال الدين . وهو يقام عادة على الضفاف اليمنى من الانهر الجارية ، ويبنى من حزم القصب والبواري، ويطلى من داخله بالطين الحر ، وتكون له نافذتان مع باب واحد، يقابل الجنوب



« معبد الصابئة « المندي » وقد وقف على بابه «الكنزبرا» »

ليستقبل الداخل إليه نجم القطب القائم تحت عرش الرب ، ولا يجوز لغير رجال الدين الدخول فيه خلال ساعات العمل الديني. أما النساء فلا يسمح لهن بدخوله مطلقاً .

ولا بد من وجود بئر متصلة بماء النهر الجاري عند مدخل كل مندي «في الصحن الذي يحيط به » ليجري تطريس « تعميد » المؤمنين فيه . وقد كان للصابئة ستة معابد «مندي» في العراق: إثنان في قلعة صالح، وواحد في كل من العمارة، والمشرح، والناصرية، وسوق الشيوخ، فتقوضت الأربعة الأخيرة، ولم يبق إلا معبدا «قلعة صالح» وهم يسعون لاقامة مندي جديد في بغداد لكثرة النازحين إليها ، وضرورة وجود معبد دائم لهم فيها .

العيد ليتخلصوا من نفقات أعمال البر، التي تقام لروحه في سائر الأيام ، ودهن السمسم المقدّس، الذي يدهن به المؤمنون المعمدين من أبناء الطائفة ؛ يستخرج في هذا العيد، وعلى كل يتحتم علَى كل صابئي أن يقدم القرابين، ويقيم الولائم عن أرواح الموتى من أقاربه وأصدقائه، حتى معارفه، في أيام البنجه

ويقول الصابئون أن كل يوم من أيام هذا العيد الخمسة ، يختص بشخص من الـ ٣٦٠ شخصاً السماويين ، فاليوم الأول لـ « آنوش أثرا » والثاني لـ « شيشلام ربّا » والثالث لـ « يوخاشار كنّه »والرابع لـ « نابوت زيوا » والخامس لـ « بهرام ربا »وكان هؤلاء الأشخاص الخمسة قد خلقوا في أيام البنجة الخمسة،وسموا بأسمائهم فيه. كما كانوا يطوفون، حول العرش الجليل، يسبحون بحمده، وهم بأثوابهم البيض. ولهذا يلبس علماء الدين الالبسة البيض فيه للدلالة على نقاء سريرتهم، ويمشون حفاة،لأن الاحذية تعمل من جلود الحيوانات الميتة ، فهي نجسة ، ويرتمسون في الماء الجاري يومياً قبل الطعام، ولا يأكلون من اللحوم غير لحم الضأن.

٤ – عيد يحيى

ويسمونه (دهوه ديمانه) وهو يوم واحد يلي عيد البنجة بستين يوماً[1] أي يقع في الثامن أو التاسع من حزيران ، ويقولون ان آدم (ع) كان قد عمد في هذا اليوم بأمر من(ملكا ربا دنهورا)فهو عيد مقدس يوجب التعميد علَى المؤمنين وحيث انه يقع في بداية الصيف،فهو أحسن المواسم لتعميد الأطفال لأول مرة أما من يتعمد فيه من أبناء الطائفة فإنه يكتسب أجر ستين تعميداً إذا كان ثوب اعتماده (الرسته) جديداً وقد صادف حلول هـذا العيد في عام ١٩٥٤ يوم الجمعة الموافق ٤ حزيران

---

(١) تقول السيدة دراور « وفي قولها وهم ظاهر » ان هذا العيد يلي عيد البنجة بتسعين يوماً راجع كتابها *The Mandaea ns of Iraq and Iran. P. 91 London 1937*

فتفضل (الـكنزبرا) الشيخ عبد الله بن الشيخ سام وسمح لنا بالحضور في داره الواقعة بجوار السفارة البريطانية في الكرخ من بغداد، حيث أجرى تعميد الشيخ دخيل بن الشيخ عيدان، وجماعة من المؤمنين في دجلة، كما ذبح دجاج كثير على مشهد منا ومرأى

عدد الصابئة

قلنا في موضع آخر أن الصابئي لا يكون صابئياً ما لم يولد من أب وأم صابئيين وأن الصابئة لا يسوغون زواج الصابئية بالاجنبي، ولا زواج الصابئي من أجنبية، لئلا يختلط الدم، ويضيع النسب.

وقد أدى هذا التشدد في محافظة نقاوة الدم، إلى جعل هذا الفريق من البشر محصوراً في العدد، آخذاً بالتناقص سنة بعد أخرى، حتى ان الباحثين في تاريخ الاقوام والسلالات، يرون أنه قد لا يمر قرن واحد حتى ينقرض الصابئون من سفر الوجود، ولا يبقى لديانتهم إلا الذكر التاريخي، هذا إلى أن حالتهم الاجتماعية، وعادات الزواج عندهم، وما تتطلبه من تعميد في الماء الجاري، سواء أكان الوقت صيفا أم شتاءاً، وكذلك تغسيل المحتضر وتكفينه قبل زهوق الروح من جسده؛ وضرورة اغتسال الصابئي في الماء الجاري للتطهر من الجنابة ونحوها؛ كل ذلك من شأنه أن يعرض هذا القوم إلى الامراض التي تؤدي إلى الوفاة حتماً فالانقراض.

مر الرحالة الفرنسي (تافرنيه) بمدينة البصرة في آذار ١٦٥٢م فقيل له ان أتباع القديس يوحنا المعمدان (وهم الصابئة) القاطنين في البصرة وأطرافها يومئذ يقدرون بخمسة وعشرين ألف عائلة [1] فإذا فرضنا أن العائلة تتكون من خمسة أفراد، كان عدد نفوس الصابئة قبل ثلاث مئة سنة، مئة وخمسة وعشرين ألف نسمة، ولكن هذا العدد أخذ يتناقص ويتضاءل بفعل العوامل المذكورة حتى أصبح عشرة آلاف نسمة كما يقول رؤساؤهم و (٦٥٩٧) نسمة كما ينطق به الاحصاء الذي أجرته الحكومة

1 . *Tavernier ; Les Six Voyages, P. 90, Paris 1713*

العراقية في ١٩ تشرين الاول سنة ١٩٤٧م وهم موزعون حسب هذا الاحصاء على ما يأتي:

اسم اللواء	الذكور	الاناث	المجموع
لواء بغداد	٥٠٨	٣٨٧	٨٩٥
لواء الحلة	١٧	٥	٢٢
لواء الديوانية	٩٧	٢٧	١٢٤
لواء الناصرية	٣٩٣	٣٩٨	٧٩١
لواء البصرة	٦٨٠	٤٦٤	١١٤٤
لواء العمارة	١٤٣٠	١٦٨٥	٣١١٥
لواء الكوت	٨٨	٧٢	١٦٠
لواء ديالى	٦٠	٢٨	٨٨
لواء كركوك	٢٤	١٧	٤١
لواء الموصل	٥٢	٣٦	٨٨
المجموع	٣٣٤٩	٣١١٩	٦٤٦٨

ولهم أفراد قليلون في كل من ألوية: السليمانية، وإربل، والدليم، وكربلاء، بحيث يصبح المجموع (٦٥٩٧) نسمة. كما ان لهم في مدن إيران الساحلية، في جنوبي العراق، نحو الف نسمة. اما ما ذكره السيد نقولا سيوفي من ان عددهم في عام ١٨٧٧ لم يتجاوز الاربعة آلاف نسمة[١] فقد كان كلاما مطلقا لا يستند إلى إحصاء رسمي.

وهؤلاء الصابئة العراقيون ينتمون إلى قبائل بعضها كبير، والبعض الآخر صغير، ويقول رؤساؤهم انهم كانوا ينتمون إلى ٦٢ قبيلة لم يبق منها غير الآتي اسماءها:

١- قبيلة (المندوية) وتقطن في العمارة

1- M. N. Siouffi : Études Sur La Religion Des Soubbas P.158 - Paris 1880

٢- قبيلة (الخميسية) وتقطن في قلعة صالح، والقرنة، وهي أكبرها

٣- قبيلة (ألبوزهرون) وتقيم في الناحيتين: المسيعيدة والحلفاية

٤- قبيلة (المسودنية) وتقيم في ناحية المجر الكبير

٥- ألبو كلمش: ويقيمون في ناحية الكحلاء

٦- قبيلة (الجحيلية) وتقيم في المدينة (بالتصغير) والشرش، والقرنة

٧- قبيله (الكيالين) وتقطن في البصرة ونواحيها

٨- قبيلة (البنكانية) وتقيم في البصرة واطرافها

٩- قبيلة (الدهيسية - بالتصغير -) وتقطن في الناصرية

١٠- قبيلة (ألبوسبتي) وتقيم في سوق الشيوخ

١١- قبيلة (ألبومهنا) وتقيم في سوق الشيوخ أيضا

١٢- قبيلة (ألبوعزّاز) وتقطن في أطراف سوق الشيوخ

١٣- قبيلة (السيفية) وتقيم في سوق الشيوخ

١٤- قبيلة (البريجية) وتقطن في الجبايش

﴿ مساكن الصابئة ﴾

كان الصابئون في أيام خلفاء بني العباس، منتشرين في كثير من بلدان الشرق القائمة على ضفاف الانهر، لأن طقوسهم الدينية، وسننهم الاجتماعية، تحتم عليهم الارتماس في الماء الجاري، سواء أكان الفصل صيفا أم شتاء كما قدمنا، وكان لهم في حرّان مركز دعاية كبير، وإن لم يكن كثير الماء:

قال أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود المتوفى سنة ٧٣٢هـ (١٣٣١م)

«وكانت حرّان مدينة عظيمة، وأما اليوم فخراب: قال في المشترك: وحران مدينة مشهورة تعد من ديار مضر - بالضاد المعجمة - قال ابن حوقل: وهي مدينة

الصابئين وبها سدنتهم السبعه عشر ، وبها تل عليه مصلى للصابئين يعظمونه ، وينسب إلى ابراهيم ، وهي قليلة الماء والشجر . قال في العزيزي : والجبل منها في سمت الجنوب والشرق على فرسخين ، وتربتها حمراء ؛ وشرب أهلها من قناة تجري من عيون خارج المدينه، ومن الآبار ، وهي والرقة من ديار مضر »[1]

ولكن لكثرة الاضطهادات التي لحقت بهذا الفريق من البشر فقد أصبح محصوراً في أماكن معينة من المدن القائمة على سيفي دجلة والفرات في جنوب العراق، وفي بعض مدن إيران الساحليــة القائمة على النهرين: كارون والدز ، وأهم هذه المدن : العمارة ، وقلعة صالح[2] والزجية«الزكية» والعزير -بالتصغير- والقرنة- موضع إقتران دجلة بالفرات -والشرش ، والمدينه- بالتصغير- ونهر صالح ، والجبايش، والحمار ،و كرمة بني سعيد،وسوق الشيوخ،وناصرية المنتفق؛ والبصرة . أما أهم المدن الساحلية الايرانية التي يقطنوها فهي: المحمرة وششتر، ودزپول ،وناصرية الاهواز ، ويقال لها ناصرية العجم .

ولما احتل الجيش البريطاني بغداد في ١١ آذار سنـة ١٩١٧م ، ظعن لفيف من الصابئين إلى بغداد ، ثم إلى سائر مدن العراق المهمة طلباً للرزق ، كما نزح لفيف آخر إلى عواصم جمهوريات سوريه، ولبنان ؛ ومصر ، وإلى أمهات مدن العالم وحواضره ، للغرض نفسه ، متسامحين في أمر الرسوم الدينية التي تفرض عليهم الارتماس في المياه الجارية ، مكتفين بأخذ مياه الغسل من الينابيع والكهاريز المتصلة ببعضها، خارجين على بعض الطقوس في أحايين كثيرة . فهم مثلا يحلقون لحاهم وشعور رؤوسهم ، ويساكنون أبناء الطوائف الاخرى ، ويأكلون من ذبائح غيرهم ، ولا يتوقفون عن استعمال الخمرة والميسر ، وكل ذلك مما حرمته عليهم شريعتهم ، كما سبقت الاشارة اليه

---

(١) تقويم البلدان ص ٢٧٧ (باريس ١٨٤٠)

(٢) قلعة صالح مدينة صغيرة تقع على مسافة ٤٥ كيلو متراً من العمارة جنوبا ، بينها وبين البصرة ، فيها زهاء خمسة آلاف نسمة ثلثهم من الصابئين الذين بنوا معابدهم في غربي هذه القصبة.

« صناعة الصابئة »

أما صناعة الصابئة فهي على الاغلب صياغة الميناء .

والميناء (من المينة) لفظ فارسي معناه صناعة جوهر الزجاج ، وهو اسم لأكاسيد معدنية تصهر بمادة زجاجية، وتزين بها الحلي وأواني الذهب والفضة، فتكسبها رونقاً وجمالاً؛ وهي من الصناعات التي كانت وما زالت موضوع إعجاب الناس في مختلف ديارهم.

وصناعة الميناء قديمة ،عرفها الطورانيون الأقدمون ، وتناقلهـا عنهم المصريون،



« صياغة « الميناء » عند « الصابئة »

والفينيقيون ، ثم انتقلت إلى الهنود والفرس ، ثم الى البيزنطيين ؛ وقد انتشرت في الشرق والغرب معاً حتى بلغت أوج كمالها في نهاية القرن السادس عشر للميلاد .

وهي إما شفافة، كالزجاج، يخترقها النور وتحكي عما وراءها، وإما كثيفة تزين بها سطوح الاجسام فتشبه الخزف الصيني؛ و كلا النوعين يمتاز بكونه ذا ألوان متعددة. وهي تستعمل لوجوه الساعات التي تثبت عليها الأرقام .

أما طريقة عملها فتكون بسحق الأجزاء المطلوب مزجها بكميات معينة ، كل على حدة ، سحقا جيداً ، ثم توضع على النار فتصهر حتى تسيل في بوتقة مغطاة أربع مرات ، حيث ترفع في كل مرة لتسكب بالتدريج في ماء إلى أن تتصلب الأجزاء فيسهل سحقها ، وتجري من وراء ذلك عملية التخطيط على الأجسام بالصور المطلوبة ، والنقوش الجميلة .

وقد تخصص القسم الأغلب من الصابئة بهذه الصناعة حتى أبدعوا فيها ، وأتقنوا فن نقل الصور بضبط ودقة ، فهم يستطيعون نقل الصورة الشمسية على علبة السيكارة مثلا ، أو على خاتم صغير ، فتخال إلى الناظر كأنها قد دبت فيها الحياة . وتكاد هذه الصناعة تنحصر فيهم في الوقت الحاضر ، لأنهم يحرصون غاية الحرص على حفظ أسرارها ، ولا يبوحون للغير عنها .

ويجيد البعض الآخر من الصابئة صناعة القوارب الخشبية على اختلاف حجومها وأوساقها : كالطراريد (جمع طرادة) والمشاحيف (جمع مشحوف) والأبلام (جمع بلم) والسوج (جمع ساجية) التي يكثر استعمالها في جنوب العراق ، ولا سيما في الأهوار ، كما أن بعضهم يمتهن الحدادة ، ويصنع الخناجر ، والآلات الجارحة ، وهنالك من يحترف صناعة الألبان ، ولكنهم أقلية ضئيلة .

ولا بد من القول أن شباب الصابئة ، الذين تحللوا من قيود شريعتهم ، التحق بالمدارس والمعاهد المختلفة ، فتخرج فيها حتى أصبح منهم من يمتهن الطب ، والصيدلة ، والمحاماة ، والهندسة ، والتدريس كما أن لفيفاً آخر التحق بكليات الغرب ، فاكتسب دراسة راقية ، ومعلومات نافعة إلا أن هؤلاء ما زالوا يترسمون خطى رؤسائهم الروحانيين ، ويفخرون بالانتساب إلى دينهم القديم .

❦ ❦

الموت والجناز

عقيدة الموت

يعتقد الصابئة أن الموت ارتحال وانتقال ، لا فناء واندثار ، فالروح بعد أن تخرج من هذا العالم لا تفنى ولا تنعدم ، وإنما تنتقل من عالم إلى آخر حتى تتصل بعالم الأنوار « آلمي دنهورا » إن كانت طيبة « حيث تبقى حية مخلدة في ذلك العام النوراني متنعمة بأنواع الملذات » وتنتقل إلى صنوف العذاب ، إن كانت خبيثة ، وربما كان تعذيب هذه الروح بإلباسها شكلا آخر ، وإظهارها في جسم من الأجسام ، الذي يكون وجودها فيه عذابا وشقاء . فالعذاب في نظرهم — مهما كان نوعه — إنما هو تطهير للروح من أدران الذنوب ، وهذا ما جعل لفكرة التناسخ أصلا عندهم .

تغسيل المحتضر وتكفينه

أما الرسوم الدينية التي تجري لفقيد الصابئة « المندائية » فإنها تقام قبيل خروج روحه من جسده ، لأنهم يعتقدون بأن الروح طاهرة فلا بدّ لها من أن تخرج من بدن طاهر ، وهذا ما فرض عليهم تغسيل المحتضر وتكفينه ، وهو في حالة النزع ، لتخرج روحه من جسده ، وهو طاهر ، فإذا مات نجس ، وحرم مسه ، ومن لمسه لا يطهر ، حتى وإن اغتسل بمياه البحار مراراً أو تعمد تكراراً .

وعلى هذا إذا ظهرت إمارات الموت على أحدهم ، نزعت عنه ثيابه ، وأخذ إلى الماء الجاري في نهر ، أو ساقية ، أو جدول ، فيغسله « الحلالي » بمشهد من « الاشكندي » أحد معارفه ، متجهاً به نحو الجدي ، ويكفنه باللباس الديني « شبيه بالرسته » ثم يعيده إلى فراشه فيبقى حتى يوافيه أجله . وقبيل أن تزهق روحه ، يضع على رأسه إكليلا صغيراً من عود الآس الأخضر ، فإذا زهقت الروح خاط الكفن عليه ، ولفه بالقصب ، تمهيداً

لإرساله إلى مثواه الأخير، على أن تمضي ثلاث ساعات على زهوق الروح، فإن انتهت هذه الساعات الثلاث بانتهاء النهار، حفظت الجنازة في بيتها إلى صباح اليوم التالي. ومنهم من يغسله في بيته بالماء الفاتر، إذا كان الفصل شتاءاً بارداً، وبالماء العادي إذا كان الفصل صيفاً أو معتدلا. أما الزعم بأن المندائيين يخنقون المحتضر قبل أن تزهق روحه، فلا صحة له مطلقاً

أما من مات قتلاً، أو غيلة، أو بسكتة قلبية، أو بتصلب في الشرايين، فانه لا يغسل، لأن الغسل موضوع عندهم لمن به روح، فان فارقت الروح الجسم، أصبح الجسد كالطين المجبول، لا يطهره الماء، ولا يؤثر فيه الاعتماد، وفي مثل هذه الحالة يوافيه مؤمن من درجة « كنزبرا » فيقوم بواجب التعميد والتكفير ؛ لأن الموت الفجائي يجعل الميت في عداد من مات بدون رسوم الجناز، على أنهم أخذوا يتسامحون أخيراً فصاروا يغسلون الميت فجأة، كما يغسلون المحتضر، حتى إذ حل « عيد البنجة » أقيم له ترحيم ديني خاص يسمونه (مشختة Mishkhitha) للتكفير عنه

وفي الوقت الذي يشغل أهل الفقيد بتهيأة أسباب دفن فقيدهم، ينعاه أحد أقاربه إلى مؤمن من درجة (ترميده) فيوافيه هذا بكتابهم الكبير (سدرا آدم) وبعلم على هيأة الصليب، له كسوة من القز الابيض يسمونه (دربشا أديهيه) أي علم يحيى، فيغرس العلم في فناء الدار، ويشرع في تلاوة نصوص مستخرجة من الكتاب المقدس يستنزل فيها شآبيب الرحمة والبركة على روح الميت (١)

---

(١) نادرة طريفة أقصها على القارئ الكريم :

كنت في عام ١٩٢٢م تلميذاً في دار المعلمين ببغداد، وكان في الدار المذكورة تلميذان صابئيان : أحدهما من أهل الناصرية، يدعى « مسلم ضمد » والآخر من العمارة، يسمى « غضبان رومي » وفي خريف تلك السنة أصيب « مسلم » بالتهاب الزائدة الدودية، فأجريت له عملية مستعجلة واستدعي أهله الى بغداد ليكونوا بالقرب من ولدهم، فظن هؤلاء أن العملية ستؤدي إلى وفاة

نقل المتوفى

أما الطقوس المقتضاة لنقل المتوفى ودفنه ، فانها تجري على وجه مخصوص فهم أولا ينصبون له (المندلتا)[١] في بهو الدار ، وبعد الطواف بالرفاة حولها ثلاث مرات ، يحمل النعش — فوق رؤوسهم — أربعة من المؤمنين من درجة (حلالي) على ان يكونوا سالمين من العيوب الخلقية كافة ، وان يكونوا متزوجين ، وذوي نسل ، فيمشون الواحد وراء الآخر ، وهم حفاة مرتدين لباسهم الديني (الرسته) ويسيرون به إلى

الولد حتما . وبعد خمسة ايام طلبت امه إلى السلطات الصحية أن تسمح لها بأخذ ولدها ، لتجري عليه الرسوم والطقوس الدينية ، قبل ان ترهق روحه فيموت كافرا ، فلم تر السلطة المختصة مانعا من ذلك فسمحت لها بأخذ المريض المحتضر . ولكن ماذا عملت به امه ؟

هذا سؤال غريب ، وأغرب منه جوابه !

أخذت الوالدة ولدها الى شاطئ «دجلة» ورفع أهله الاربطة التي ضمدت بها جروح ولدها ، وبدأوا يصبون الماء على تلك القروح ، وهي دامية ، والولد يصيح ويستغيث ، ولكنه لم يجد من يشفق عليه ، وهكذا غسّل «مسلم» وكفن ، واعيد الى فراشه في انتظار زهوق روحه ، ومرت اربع ساعات والروح لم ترهق ، فتقدم احد اساتذتنا إلى سرير المحتضر ، ودس آلة الترمومتر تحت إبطه ، فلاحظ ان درجة الحرارة لا تنذر بالخطر ، فأخبر الاطباء بذلك ، فبادروا إلى تضميد جروح التلميذ من جديد ، وكانت النتيجة انه ابل من مرضه بعد بضعة أيام ، واشترك في امتحان نصف السنة بنجاح ، وهو ما زال يدرس في المدارس الحكومية في لواء المنتفق ، ولله في خلقه شؤون .

وفي ص ٢١ من المجلد الثاني من « مجلة اليقين » البغدادية الصادرة في عام ١٣٤٢ هـ « مرض رجل اسمه عزت بن خنجر فغسل ، وكفن ، ثم برئ ، وهكذا عمل ثلاث مرات يمرض ، فيشرف على اللحد ، فيشق الكفن ، وهو لا يزال حياً يرزق » اهـ

(١) يزعم المندائيون ان أرواح موتاهم تبقى مرفرفة في الفضاء ثلاثة أيام بعد الوفاة ، مترددة بين القبر والدار ولهذا يعملون لها «مندلتا» بعد الوفاة مباشرة ، ويضعون الى جانبها كأسا ، أو طاسة من الماء . وهذه المندلتا عبارة عن ثلاث ربطات من القصب النظيف المقشر ، مشدودة إلى بعضها شدا دينيا خاصا ، ومختومة بالاسكندولة ، وهي لا تفض الا في ختام اليوم الثالث للوفاة .

مرقده الاخير بين الصمت والخشوع ، لأن البكاء والعويل على الميت محرمان عندهم وكذلك يحرم لطم الصدور ، أو رش التراب على الرؤوس ، وهم يعتقدون بأن كل دمعة تذرفها العين على أي فقيد تكون نهراً كبيراً في طريق نفسه ، تكاد تعجز عن قطعه .

ويتحتم على أحد (الحلالية) ان يختم قطعاً مستديرة من الطين بخاتم مقدس عندهم يسمونه (إسكندوله) محلى بأربع صور من الحيوانات المؤذية هي : الحية ، والعقرب ، والاسد ، والزنبور ، حتى إذا بلغ وأصحابه الجبانة ، وضع الطين المختوم فوق موضع



« الاسكندولة » التي ترصد القبر وتحدده

القبر الذي يختارونه له ، فيشرع الحفارون في حفره ؛ والترميده يقرأ في كتاب (سدرا ربا) وأمامه (الدرابشا)

اما إذا كان المتوفى احد رجال الدين ، فإن زملاءه يمشون خلفه حفاة ، حاملين كتبهم المقدسة فوق رؤوسهم ، وأمام الجميع علم يحيى ، أي (درابشا اديهيه) مرفوعاً إلى علو شاهق للاعلان عن شخصية الميت

صفة القبر

أما القبر فيكون بشكل مستطيل ، وعمق يتراوح من ثلاثة إلى خمسة أمتار ، حسب صلابة الأرض ، وتحفر عند موضع الرأس حفرة صغيرة ضيقة تسمى « لغم »

فيدخل فيها رأس الميت إلى صدره، بحيث يكون مستلقياً على ظهره ؛ ووجهه ورجلاه متجهة نحو الجدي ؛ فإذا بعثت الجثة ، واجهت هذا الكوكب الثابت بالذات ؛ ثم تصف الأحجار على كفنه، من صدره إلى أخمص قدميه، وحينما ينتهي (الترميده) من قراءة النصوص الدينية الخاصة بالدفن ، يلقي حفنتين من التراب على جسد الميت ، ثم تنهال الأتربة عليه دون أن تشيد بنية فوقه .

وللصابئة أسطورة يتناقلونها في سبب وضع الحجارة على أكفان موتاهم مباشرة، قد لا تخلو من طرافة ، فهم يزعمون أن كثيراً من آبائهم القدماء عمدوا إلى نبش قبور موتاهم، ليتفقدوا أوضاعهم، فوجدوا أن أكفانهم قد تجمعت في أفواههم ،وان هذه البادرة النحسة أدت إلى أن يتوفى أهل بيوتهم تباعاً، وبسرعة فائقة ، فلكي لا يسرع الموت إلى أهل الميت ، يضعون الأحجار على صدره لهذه الغاية، ويضعون في فمه قليلا من تراب أول حفرة تحفر لقبره ، كما انهم يضعون مع الميت قطعتين صغيرتين إحداهما من الفضة، والاخرى من الذهب على ان يكون زنة كل منهما ١-١٦ من المثقال

أما سبب وضع التراب عليه مباشرة، فسنّة عمل بها « مندائي » لما أهال حفنتين من التراب على جسد الرسول الأعظم عندهم ، يحيى بن زكريا ، فكانتا قبراً له .

المأتم

ومتى عاد المشيعون إلى دار المتوفى ؛ اغتسل « الحلالية » ومن اشترك معهم في الدفن ، وعمّدوا الأدوات التي استعملت في الحفر والإقبار، في الماء الجاري ،وأكلوا مما أعدّ لهم من طعام خاص لهذه المناسبة يسمونه « لوفاني » وعندها يقام مأتم لروح المتوفى في سبعة أيام متتالية ، ومثل ذلك في اليومين السابع والثلاثين والخامس والأربعين للوفاة

وحرام على زوجة الفقيد أن تقصّ شعرها حداداً على بعلها ، أو أن تندبه بالبكاء

والعويل، لأنها ترتكب بعملها هذا إثماً لا يغتفر . وهم يعزون عقيدتهم هذه الى أن يحيى أوصى زوجته - حين أدركته الوفاة - بأن لا تبكي ولا تحزن عليه ، بل تبقى على بشاشتها ، وتطلق صوتها بالفرح عليه ، لا بالويل والثبور ، فكان لزاما على أتباعه أن يترسموا خطاه في مثل هذه الأحوال ، ومن هنا أصبح الموت عندهم مدعاة للسرور ؛ وليس للحزن ؛ وأصبح يوم المأتم أكثر فرحا من يوم الزفاف . وعلى الرغم من ذلك كله، فإن العوام من الصابئة - لتأثرهم بالمحيط الاسلامي الذي يعيشون في كنفه - أصبحوا يندبون موتاهم ، وقد يخطئون فيبكونهم أيضا ، إلا اذا كان المتوفى من المؤمنين ، فإنهم لا يتسامحون في أمر الدين قيد أنملة .

وقد حتمت الشريعة المندائية قبر الميت حيث يموت، فلا يجوز نقله إلى بلد آخر ، كما لا يجوز العبور به على نهر جار .

ما بعد الموت

في معتقدهم ان الصابئي « المندائي » إذا مات، استقبله ملكان : يدعى أحدهما (صارويل شرويه) ويسمى الثاني (قماميز زيوا) وهما ناقلا الأرواح، فيحاسبانه على عمله في دنياه ، حسنا كان أم سيئا(١) فإن كان من أصحاب الاعمال الحسنى، فإن روحه تذهب إلى عالم الأنوار « آلمي دنهورا » من أقرب طريق تقطع فيه العوالم السبعة ، في خمسة وسبعين عاماً ، وتنتهي في الميزان الذي نشاهد نجماته في السماء ، ولكن في عالم

(١) «بخصوص العالم الآخر : يعتقدون ان هناك الجنة ، ويسمونها آلمي دنهوره وترجمتها عالم النور ، كما هناك نار ويطلق عليها أور ، ويتصورونها مخلوقاً كبيراً يبتلع الاشرار ، وبين الجنة والنار شيء ثالث يسمونه - المطراثي - اي المطهر وفي هذا المحل تعذب الأرواح التي ارتكبت ذنوبا بسيطة ، ويكون عذابها لأمد محدود ثم تنتقل منها الى مواضعها في عالم النور . ويعتقدون أن أور الذي يلتهم الاشرار ياتي من عالم الشياطين وان عالم النور مملوء بالملائكة الصالحين »

الاستاذ عبد الله « الصابئي » في كتاب « العراق في القرن السابع عشر » ص ١٠٨

الأنوار، فتوزن فيه الروح ؛ ثم يسمح لها بالدخول في عالم الأنوار .

وأول روح وزنت في هذا الميزان - في اعتقادهم - هي روح شيث بن آدم (ع) الذي مات قبل أبيه ؛ لأن الله تعالى طلب إلى آدم أن يلبي دعوته فأبى ، و كان عمره إذ ذاك ، ألف سنة ، وطلب أن يعيش ألف سنة أخرى . أما عمر ابنه شيث فقد كان ثمانين عاماً ، ولم يكن ليتزوج ، وبذلك أصبح عمر البشر غير محدود . فيموت الطفل ، والشاب غير المتزوج ، والشيخ الهرم ، على ما هو جار عندنا اليوم ، ولو ان آدم كان قد قبل أن يموت ، عندما طلب الرب إليه ذلك ، لأصبح للبشر عمر محدود ، ينتهي بالموت . أما إذا كانت روح المتوفى خبيثة ، فإنها تبقى في العذاب بنسبة ما تستحق . ولا تقتصر أنواع العذاب عندهم على الادخال في النار حسب ، بل هي تختلف باختلاف الآثام التي ارتكبها الانسان ؛ فقد تكون العقوبة بحبس الروح في موضع لا هواء فيه ، أو بضبطها بين جبلين ، أو بتعذيبها في النار ، أو بنحو ذلك ، فإذا تحللت من الذنوب ، وقطعت العوالم السبعة في مدة تتناسب مع عذابها ، وصلت إلى الميزان فتوزن فيه كسابقاتها .

المعاد

المعاد هو الحياة الآخرة ، التي تحيى بها النفس في عالم الأنوار « آلمي دنهورا » وتتنعم بما يتنعم به القديسون والروحيون هناك ، والناس صائرون كلهم إلى هذا العالم النوراني إما رأساً ، أو بعد تطهيرهم من خطاياهم بالعذاب المتناسب مع الآثام التي ارتكبوها في هذه الدنيا الفانية [1] .

---

(١) « أما أنواع العذاب عندهم فتختلف باختلاف أنواع الجرائم : فمنها أن توضع نفس المجرم في كظم اور ، أي في مجرى نفسه ، فيتعاقب عليها نسمتان : إحداهما كأحر ما يكون من السموم ، وذلك عند إخراج النفس من صدره ، والاخرى كأبرد ما يكون من الزمهرير وذلك عند اجتذابه من الخارج ، وأصحاب هذا الصنف من العذاب هم الزناة .

أما هذه الأرض التي نسكنها فتعود، بعد أن تفنى وتندثر ، هي وعوالم الظلمة التي تستمد نورها من الشمس .

ويختلف المعاد عند الصابئة ، عنه عند المسلمين، بأن الاولين يرون أن المجازات والعقوبات تجري في عالم قبل عالم الآخرة . أما عند المسلمين فإنهم يرون أن الثواب والعقاب يكونان في عالم الآخرة كما هما في عالم البرزخ المتوسط

« ومنها صنف يقال له-نوردويا كو-أي نار الجحيم ، وهو تنور بالغ من الحرارة ما تكون النار عنده برداً وسلاماً ، فتعلق أنفس المعذبين على جدران هذا التنور حينا ، ثم تخرج منه ، ثم ترد إليه وهلم جرا ، وهو عذاب السارقين .

« ومنها أن يوضع المعاقب بين صخرين عظيمين فيضغطان عليه ضغطاً شديداً حتى يتفلطح جسمه ويكاد يختنق ، ثم ينفرجان عنه فيعود إلى ما كان عليه ، وبعد ذلك يعودان فيضغطان عليه ، ويكون ذلك ثلاث مرات كل يوم ، وهو عذاب من يخون شريكه .

« ومنها سلسلة تتدلى من سقف المكان ، فتشد بها عنق المذنب ، فيبقى منتصبا على قدميه ، لا يستطيع أن يثني ركبته ، ولا يتحول عن موقفه ، وهو عقاب أهل الضغائن

« ومنها أن يلبس المجرم لباساً من الثلج ، وهو جزاء المتجسسين ، والنامين ، والذين يرمون الأبرياء بالريب ، ويلقونهم بين أيدي الحكام

« ومنها سلك من الحديد يحمى بالنار إلى أن يحترق ، ثم يدخل في إحدى أذني المعذب ، ويخرج من الأخرى على الدوام ، وهو عقاب من يسترق السمع .

« ومنها أن تملأ راحتا المعذب ناراً ، ويؤمر أن ينفخها بشفتيه ، حتى لا يخمد اشتعالها ، فتصير بذلك كفاه جمراً ، ولكنهما لا تحترقان ، وهو جزاء الكذابين

« ولهم ضروب أخرى من العذاب لا نطيل باستقصائها ، تطول مدتها وتقصر تبعاً لعظم الجرم وكبته ، إلا انه ليس شيء منها بخالد على المجرم إلا من قتل نفسا ، أو كان سبباً في قتل أحد ، ولو كان قاتلا ، ومن كان علةً في خروج أحد الصابئة إلى دين آخر ، بأي حجة كانت ، ومن زنى ببكر ، فإن هؤلاء يكون عذابهم مؤبداً » إه

مجلة البيان « القاهرة ١٨٩٧م » ص ٢٤٥ ج١

الوصية والميراث

يشترط فيمن أراد التصرف بتركته من بعده، حسب وصيته، أن يكون قد أحسن في حياته إلى المحتاجين والمعوزين، بصورة سرية، وهم يبالغون في سرية الصدقات حتى ليقولون «إعط باليمنى على أن لا تدري اليسرى»

أما تقسيم المواريث فإنه ليس من أساس شرائعهم الدينية، والذي يفرض عليهم هو جعل أكبر أبناء المتوفى مسؤولا عن آله وذويه، فيتولى الصرف على هؤلاء من المال الموروث: منقولا كان أم غير منقول. غير انهم – لتأثرهم بالمحيط الاسلامي الذي يعيشون في وسطه - أخذوا بالمواريث على ما جاءت به شريعة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، وصاروا يعملون بالقسامات الشرعية التي يصدرها القضاة المسلمون عندهم

المحرمات

يحرم على الصابئة إتيان عدد كبير من الاعمال الدنيوية ومن أهمها :

١ـ القتل والقتال إلا في حالة الدفاع عن النفس
٢ـ الزناء واللواط
٣ـ احتساء الخمر حتى السكر، ولعب الميسر مطلقا
٤ـ الختان
٥ـ حلف اليمين و إن كان صدقا
٦ـ مؤاكلة أصحاب الاديان الاخرى
٧ـ الاكل والشرب والاشتغال قبل الاغتسال من الجنابة
٨ـ لبس الأزرق
٩ـ قطع الطريق وسلب المارة
١٠ـ النظر إلى المحصنة بريب
١١ـ الاشتغال في الاعياد، وفي أيام الآحاد
١٢ـ شهادة الزور
١٣ـ الفتنة والغيبة والنميمة
١٤ـ الربا وربح الربا
١٥ـ الحبس عن دين مهما كانت مدته
١٦ـ خيانة الامانة
١٧ـ حلق الذقن والشارب أو الاخذ منهما. أما شعر الرأس فيسمح بقصه للعامة دون الخاصة.
١٨ـ أكل لحم كل ذي ذنب. وتقتصر لحومهم على الخراف والدجاج والسمك والطير الحر

